عصر المؤلف

المبحث الأول: الحالة السياسية

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث: الحالة الثقافية

المبحث الرابع: الحالة الدينية

obeikandl.com

obeikandl.com

الحالة السياسية

يُعد العهد العثماني الذي عاشه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (٩٥١ ـ ١٠٢٤ هـ. = ١٥٤٤ ـ ١٦١٥ م) عهد التحول وبداية انحطاط الدولة، حيث بدأت فيه الثورات الداخلية، كما نشبت الحروب المستمرة الطويلة بين العثمانيين والأسرة الحاكمة في النمسا التي صارت سجالاً بينهم، بعد أن كانت الانتصارات المتواصلة في صالح الجيش العثماني، إضافة إلى ذلك الحرب الضروس في الولايات الشرقية. فأصبحت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا، ونار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقاً والنمسا غرباً.

فقد حصلت في ابتداء القرن السابع عشر الميلادي في بلاد الأناطول ثورة داخلية عظيمة، حيث لم تثبت فرقة من الجيوش المؤجرة في واقعة كرزت[1]، بل ولت أدبارها وركنت إلى الفرار، فنُفيت إلى ولايات آسيا، وأطلق عليها اسم «فراري» تحقيراً لهم وعبرة لغيرهم. وادّعى بعد ذلك أحد قوادهم واسمه قره يازنجي أن النبي ـ ﷺ ـ جاءه مناماً ووعده بالنصر على آل عثمان وفتح ولايات آسيا، فتبعه كثير من هذه الفئة، وشق عصا الطاعة، وتغلب على بعض ولاة الدولة. فحصلت فتنة عظيمة كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة في تلك الظروف الحرجة، إلا أنها انتهت بالتفاوض بين الدولة ودلي حسن الذي صار قائداً للثورة بعد قتل أخيه المذكور، وانتصر على الجيش العثماني، فمنحته الدولة ولاية بوسنة، فقبلها، ووضع السلاح وأعلن إخلاصه للدولة سنة ١٦٠٣ م. ثم سافر بجنوده ومن انضم إليها من الأكراد، واستعمل قوته لمحاربة النصارى على

(١) كرزت سهل تقع في جنوب بلاد المجر، بالقرب من الحدود اليوغسلافية اليوم. انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص: ٢٦٨.

حدود الدولة من جهة أوروبا، حتى هلكت جيوشه عن آخرها في المناوشات المستمرة بينها وبين عساكر المجر والنمسا، واستراحت الدولة من شرها[١].

ثم أعقبت هذه الثورة الكبيرة ثورة أخرى في العاصمة نفسها[٢]، كما أثارت انتصارات الدولة العثمانية في بلاد شرق أوروبا، وانتشار الإسلام فيها حقد النصارى على الدولة، فأصبحوا يتحينون الفرص للانتقام منها واسترجاع تلك البلدان. تبدأ في هذه الفترة ـ كذلك ـ أقاليم شرق أوروبا التابعة للدولة العثمانية تتحد ضد الدولة بالتحالف مع النمسا. وهذا جعل الدولة تُولي اهتماماً أكبر لتلك الحروب المستمرة، لا سيما وهي قلقة لأجل ثوراتها الداخلية، والحرب الكبيرة في شرق البلاد[٣].

لقد اضطربت الأحوال في الولايات الشرقية عموماً، وسعى كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال. فنرى الشاه عباس الشهير[٤] ينتهز هذه الظروف، وخاصة انشغال الجيش العثماني بقمع الثورة في أناطول ـ السابق ذكرها ـ لاسترجاع بلاد العراق العجمي، واحتل مدائن تبريز ووان وغيرها. ولمناسبة اضمحلال جيوش الدولة العثمانية في هذه الحرب التي استمرت عدة سنوات متتالية، وموت أهم قوادها، أبرمت الدولتان الصلح بينهما سنة ١٦١٢. على أن تترك الدولة العثمانية لمملكة العجم جميع الأقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان سليمان القانوني، بما فيها مدينة بغداد.

وهذه أول معاهدة تركت فيها الدولة العثمانية بعض فتوحاتها،

---

(١) انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) المرجع السابق ص: ٢٦٩.

(٣) المرجع السابق ص: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٤) لُقب هذا الشاه بالكبير وعُين ملكاً على خراسان سنة ١٥٨٥ م. ثم توسع ملكه حتى حارب العثمانيين واستخلص منهم المناطق المذكورة. انظر المرجع السابق حاشية الصفحة ٢٧١.

فكانت فاتحة الانحطاط، وأول المعاهدات المشؤومة التي خُتمت بمعاهدة برلين الشهيرة[1].

هذا التحول المفاجىء في سياسة الدولة راجع إلى أسباب عديدة، منها:

أولاً: عدم خروج السلطان بنفسه إلى الحرب.

فقد غيّر السلطان سليمان القانوني في آخر عهده تلك العادة ـ خروج السلطان بنفسه إلى الحرب ـ وأجاز الحرب بقيادة الأمير الأعلى. وكان هذا سبب تقاعس أغلب من بعده من السلاطين عن الخروج إلى الحرب بأنفسهم. وكان الجيش الانكشاري يرفض أحياناً الخروج إلى القتال إلا إذا خرج معهم السلطان، لأن وجود الخليفة الأعظم على رأس جيوشه يبث فيهم روحاً جديدة، فيصيرون معه إلى النصر المبين بإذن الله.

ثانياً: زيادة اتساع رقعة الدولة وثرواتها، حيث أصبح من الصعوبة بمكان إدارة تلك الولايات إدارة موحدة، فأدّى ذلك إلى ضعف الإدارة وتدهور الجهاز الحكومي المركزي.

ثالثاً: تولية السلاطين صغار السن، وعدم اهتمامهم بشؤون الدولة، بل قضاء بعضهم عمره كله في الحرم السلطاني.

رابعاً: كانت كافة أمور الدولة تُنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان، فأبطلت هذه العادة، وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء، فصارت الأمور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلاً أو نسباً، أغلبهم ممن أسلم أو تظاهر بالإسلام من النصارى وغيرهم.

خامساً: الإباحة للانكشارية بالتزوج والإقامة خارج ثكناتهم، الأمر الذي جعلهم من أكبر موجبات تأخر الدولة بعد أن كانوا من أعظم عوامل تقدمها[2].

---

(١) المرجع السابق ص: ٢٧١.

(٢) انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ١: ٢٥٢ وما بعدها.

الحالة الاجتماعية

كان من نتيجة اضطراب الحالة السياسية أن تأثرت الحياة الاجتماعية كذلك. فنجد أن الدولة العثمانية كانت على طبقتين رئيستين: العسكريين والرعايا. فمن الطبقة الأولى السلطة الحاكمة، والإداريون، والقوات المسلحة، ويُلحق بهم من الرعايا علماء الدين فقط[1].

وأما الطبقة الأخرى فهي الرعايا، وهم باقي فئات الأمة.

ورغم أن القوانين المدنية والجنائية المستمدة من الشريعة الإسلامية كانت تُطبق على كل من الرعايا والعسكريين على حد سواء، إلا أن الأخيرين كانوا يخضعون لقانون خاص يُسمى (قانون ـ سباهيان) الصادر عن إدارة السلطان. وكانت القاعدة السائدة تقضي بعدم إمكان دخول الرعايا في سلك العسكريين إلا نادراً، وهي من قواعد الدولة الأساسية.

والطبقة الأولى لا صلة لها بالإنتاج الزراعي والصناعي، ولا تطالب بالضرائب، في حين أن الطبقة الأخرى هي التي تقوم بالإنتاج وتدفع الضرائب.

وأما فئة الإقطاعيين الذين يندرجون في الطبقة الأولى، فكان شغلهم لمناصبهم يلزمهم بالقيام بالخدمة العسكرية في أوقات الحرب وعلى نفقتهم الخاصة.

فكانت الدولة العثمانية دولة عسكرية دينية، وإقطاعية من نوع خاص، والعسكرية الصارمة خصيصتها الأولى[2].

---

(١) انظر أصول التاريخ العثماني ص: ١١٢، والدولة العثمانية دولة إسلامية: ١: ١١٩.

(٢) انظر المجتمع الإسلامي والغرب: ١: ١٨ و ٦٢، والدولة العثمانية دولة إسلامية ١: ٤٩. وانظر عن طبقات المجتمع العثماني ودور كل طبقة فيه: أصول الحكم في نظام العالم ص: ٢٠ ـ ٢١، للمؤلف حسن كافي ـ رحمه الله.

سبق ذكر بعض ما أصيبت به الدولة في هذه الفترة من تدهور جهاز الحكم المركزي، وكان العسكريون يشغلون المناصب المدنية القيادية غالباً، فأدى ذلك إلى استبداد بعضهم بالرعية واستغلال مناصبهم لمصالحهم الشخصية، وانتشار العبث بأموال العامة.

فوُجدت مظاهر الترف والإسراف والبذخ في جانب، وبدأ يظهر الفقر في جانب آخر. ونرى ذلك واضحاً في بعض مواقف المؤلف ـ رحمه الله ـ تجاه تلك التغيرات السلبية. فقد لاحظ فساد الولاة، وانتشار البغي وحاول الإصلاح قدر المستطاع.

يقول في ترجمته عن نفسه، وكان في تلك الفترة قاضياً في بلدته أقحصار: «ولما ظهرت فتنة الأردل والقرال[1]، وآل الأمر إلى المحاربة والجدال، وبدا البغي والفساد من العمال، تركت القضاء والتجأت بوطني الأقحصار، وعقدت مجلس الدرس لطلبة الديار. . . .»[2].

هذه الاضطرابات والتغيرات جعلته يدرس واقع الدولة ويؤلف كتاباً يبين فيه عيوب النظام السائد، ويشرح الأسس القويمة التي ينبغي للدولة أن تقوم عليها، ثم يعرض ذلك الكتاب على السلطان نفسه راجياً أن يُسهم بذلك في إصلاح ما فسد. وسيأتي ذكر ذلك تفصيلاً، بإذن الله تعالى.

---

(١) الأردل والقرال هما ولايتان نصرانيتان مشهورتان في تلك المنطقة (على حدود رومانيا ـ مجر اليوم) وكان أهلها مع المسيحيين الآخرين يُضمرون التعصب منذ مائة سنة ونيف، وعندما أدركوا حالة التردي في الدولة العثمانية اغتنموا الفرصة ضد بني عثمان، ونتيجة لذلك تمكن أعداء الدولة من استعادة قلاع كثيرة.

(٢) «نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء» لوحة ١٨ ـ أ.

obeikandl.com

الحالة الثقافية

حينما يتصفح القارىء تاريخ هذا العصر يجد أن المؤرخين لا يمرون بترجمة عالم من علماء هذا العصر إلا ويذكرونه بألقاب علمية كبيرة، مثل: الإمام، العلامة، الشيخ الفاضل الكامل، القدوة، الحجة. لكن رغم ذلك وصف المؤرخون النقاد هذا العصر بعصر الظلمة بالنسبة للحركة العلمية، والحالة الدينية، كما وصفوه بعصر الحواشي والشروح، دون عصر الابتكار بالمقارنة مع العصر الذي سبق هذه الفترة.

فلا تكاد ترى نابغة في علوم الفقة، حيث ادُعي إغلاق باب الاجتهاد، ولذلك اقتصرت جهود فقهاء ذلك العصر على اختصار المتون، وكتابة الشروح على المؤلفات، وترديد ما سبق من آراء في عصور سالفة.

وتظهر هذه الحالة بوضوح إذا نظرنا إلى بلد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فكانت هناك كتاتيب كثيرة في جميع قرى ومدن منطقة البوسنة وشبه جزيرة البلقان التي دخلها الإسلام، إلا أنه لم تكن في زمن المؤلف سوى المدارس الرسمية الثلاث (الثانوية) في مدينة سراييفو، عاصمة الولاية. وكل من أراد أن يستزيد من العلوم الشرعية أو يتخصص فيها، كان عليه أن يسافر إلى استانبول ـ باعتبارها أقرب المراكز الإسلامية إلى تلك المنطقة ـ عاصمة الخلافة، ويدرس فيها على كبار مشايخ ذلك العصر.

فرأى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بعدما رجع من استانبول وأجيز بالتدريس والقضاء أن الكتب المقررة في مختلف مواد المدارس المذكورة قديمة، غير مناسبة لحاجات الطلاب ومستواهم العلمي، وأنه لم يراعَ فيها غير أنها للعلماء المشهورين في تاريخ الإسلام، وخاصة علماء المذهب الحنفي، وأن طريقة التدريس فيها لا تُمكّن الطالب من معرفة الحقائق

الإسلامية من القرآن والسنة مباشرة، بل بواسطة آراء العلماء المعينين دون محاولة نقد أو تمحيص تلك الآراء.

ورأى كذلك أنه من الخطر الكبير تقليد العلماء السابقين تقليداً أعمى في جميع آرائهم دون استخدام العقل في الموازنة بينها وبين ما يوافقها أو يعارضها من الأدلة النقلية، أو الأمور الواقعية.

ففي مجال العقيدة ـ مثلاً ـ رأى المتون المشهورة في ذلك الوقت، مثل عقيدة السنوسي، والنسفي، ونقاية السيوطي، وما شابهها، تُدرّس في جميع المدارس، رغم خلوها من الأدلة النقلية الصحيحة، دون أي تمحيص أو تحليل، فأراد أن يحرك الهمم، ويغير ذلك الواقع، فجمع تلك المتون في تأليف واحد (روضات الجنات في أصول الاعتقادات) وحاول أن يضعها على الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، ويُصفّيها من الشوائب الموجودة فيها.

ثم شرح ذلك الكتاب شرحاً موسعاً، إلى أن ألّف هذا الشرح الذي هو بين أيدينا، محاولة منه في الخروج من ذلك الواقع الذي لا يرضى عنه عالم بحقائق هذا الدين الحنيف.

ثم فعل مثل ذلك في العلوم الأخرى، بل أسس مدرسته الشهيرة التي خرجت أجيالاً كثيرة من العلماء، والقضاة، والدعاة الذين نشروا المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وسيأتي الحديث عنهم قريباً، بإذن الله تعالى.

ثم نشأت بعد ذلك مدارس أخرى كثيرة في جميع مدن المنطقة، ونشطت فيها الحركة العلمية.

فكان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من الأوائل السابقين الذين حاولوا التحرر من قيود التقليد السلبي، وشجعوا الآخرين على الموضوعية في طلب العلم، وكان لموقفه هذا أثر كبير في المنطقة، بل في المناطق المجاورة لها كذلك.

الحالة الدينية

كانت الهيئة الإسلامية في الدولة العثمانية لها مركز مرموق، وكان يُطلق على رئيسها «المفتي» أو «مفتي استانبول» ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم «شيخ الإسلام»، وكان السلاطين حريصين على تدعيم سلطته، فكان المفتي يصدر الفتوى تجيز الحرب والعهود بين الدول، كما أن الهيئة الحاكمة كانت حريصة على التطبيق الصارم للشريعة الإسلامية[1].

لكنه يلاحظ على الدولة العثمانية تشجيعها العلني للتصوف وطرقه المختلفة.

فلقد كان العلماء المشتغلون بعلوم الكتاب والسنة موصوفين بالزهد والتقوى، والعفاف، والقناعة، والعبادة، من أقدم العصور. ولكن هناك فرق كبير بين زهد السلف الذين كان زهدهم مقيداً بالكتاب والسنة، وبين زهد العلماء المغترين بالطرق الصوفية المبتدعة التي راجت في صفوف الأمة في العصور المتأخرة. واعتبر أهل العلم بالكتاب والسنة وفِقه السلف الصالح هذه الطرق المبتدعة أفكاراً دخيلة على الإسلام.

وقد راجت بواسطة هذه الطرق الأفكار الإلحادية التي تولّى كبرها ابن عربي[2]

---

(١) انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية: ١: ٥٤.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبو بكر الحاطمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية (بالأندلس) انتقل إلى إشبيلية، وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه، وحُبس فسعى في خلاصه علي بن فتح الجبائي، فنجا. واستقر في دمشق، فتوفي فيها سنة ٦٣٨ هـ. وهو كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار. =

وابن الفارض[1] وأمثالهما، واغتر بأفكارهم كثير من أهل العلم في جميع البلاد الإسلامية في العصور الأخيرة، اللهم إلا من كان منتبهاً لأفكارهم الخبيثة كالبقاعي[2]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ ومدرستهم الفكرية الإصلاحية عبر القرون والأجيال.

أما الدولة العثمانية فقد شجعت التصوف وطرقه المختلفة بطريقة رسمية، فأدى ذلك إلى انتشار الطرق الصوفية وأفكارها، وسيطرة الخرافات والأفكار المنحرفة على أكثر العامة، وكثير من علماء ذلك العصر، إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تكفل بحفظ هذا الدين إلى يوم القيامة، فلا تمر فترة من فترات الضعف في الأمة الإسلامية إلا ويجعل الله من علمائها من يقوم بواجب الإصلاح والتصحيح ورد الأمة إلى مسارها الصحيح.

فنرى الشيخ حسن كافي ـ رحمه الله تعالى ـ يدرك ذلك الواقع السيء تمام الإدراك، ويحاول الإصلاح بإظهار العقيدة الحقة صافية واضحة كما فهمها السلف الصالح، وذلك من خلال محاضراته وخطبه وتأليفاته في هذا الشأن[3].

= ترجمته في: ميزان الاعتدال ٣: ٦٥٩ ـ ٦٦٠؛ فوات الوافيات ٣: ٤٣٥ ـ ٤٤٠؛ شذرات الذهب ٥: ١٩٠.

(١) هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين بن الفارض، أشعر المتصوفين، يلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بوحدة الوجود. قال الذهبي: كان سيد شعراء عصره، وشيخ الاتحادية، وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي! ترجمته في: ميزان الاعتدال ٣: ٢١٤ ـ ٢١٥؛ وفيات الأعيان ٥: ٥٥.

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، المفسر المحدث، المؤرخ الأديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، توفي بدمشق سنة ٨٨٥.
ترجمته في شذرات الذهب ٧: ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٣) ألّف الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الباب كتابه «روضات الجنات في أصول الاعتقادات» بين فيها العقيدة الإسلامية الصحيحة ومخالفتها لمذاهب أخرى منتشرة في البلاد، وخاصة مذهب الصوفية. ثم شرحه بعد ثناء العلماء عليه في كتاب «أزهار الروضات في شرح روضات الجنات».

يقول عنه الشيخ محمد الخانجي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن بعض المصادر: «وكان يبغض مشايخ الطرق في زمانه، ويعترض عليهم، ويقرعهم بحجج الشرع، ويقول: لو كانت الكرامة تُنال بالرياضة لنلتها...»[2].

وجهوده ـ رحمه الله تعالى ـ في محاربة الطرق التي ثبت خروجهم عن الدين معروفة مشهورة، لها آثارها الإيجابية في تلك البلاد إلى أيامنا هذه. وسيأتي الكلام عن ذلك بإذن الله تعالى.

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن صالح بن محمد خنجيتش الحنفي البوسنوي، ويقال له الخانجي، ولد في البوسنة بيوغسلافيا، ودرس في الأزهر الشريف، ثم حج وعاد إلى بلده وتوفي فيه عن نحو ٣٥ سنة عام ١٩٤٦ م. له جهد كبير في جمعية الهداية الخيرية التي كان لها دور بارز في نشر العلم وإعداد الدعاة. وكان رئيس لجنة تحرير مجلة الهداية عدة سنوات كتب خلالها مقالات علمية نافعة ما زال يستفيد منها الدارسون. وألّف عدة كتب منها: الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة (بالعربية)، والمدخل إلى علم التفسير والحديث (باليوغسلافية)، وراحة الأرواح جمع فيه عدداً من الأدعية المأثورة مع ترجمتها إلى اليوغسلافية. وقد تأثر رحمه الله ـ أثناء دراسته في الأزهر ـ بدعوة الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ وأسس مع بعض زملائه حركة الشبان المسلمين التي كان لها أكبر الأثر في تربية الشباب المسلمين ووقوفهم في وجه الإلحاد والإباحية اللذين فرضهما الحكم الشيوعي الجديد آنذاك.

(٢) الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشرعاء بوسنة ص: ٥٨.

obeikandl.com

حياته الشخصية

المبحث الأول: مولده ونسبه

المبحث الثاني: نشأتـه

المبحث الثالث: وظائفه وأعماله

المبحث الرابع: زهـده وورعـه

المبحث الخامس: وفـاتـه

obeikandl.com

obeikandl.com

مولده ونسبه

يتفق المؤرخون على أن الشيخ حسن كافي الأقحصاري ـ رحمه الله ـ من أكبر العلماء وأبرز الشخصيات في مجال العلوم الإسلامية والعربية في الأجزاء الأوروبية من الدولة العثمانية في ذلك العصر، بل من أبرز الشخصيات في تلك البلاد عموماً.

رغم ذلك نجد أن مصادر ترجمته محدودة جداً، كما هو شأن المتأخرين من العلماء غالباً. فقد حظيت شخصية هذا العالم الجليل بدراسة وافية من زمن بعيد، سواء ممن اهتم بالتاريخ من المتأخرين في منطقة البوسنة اليوغسلافية، أو من الغربيين المستشرقين الذين ترجموا بعض أعماله وكتبوا عنه، إلا أنه لم يزل كتابه المسمى «نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء» أوسع مصدر لترجمته، حيث ذكر فيه سلسلة شيوخه إلى النبي ـ ﷺ ـ، وترجم لنفسه تحت الرقم التاسع والعشرين، وأعطى المعلومات الأساسية عن نفسه وحياته وبعض مؤلفاته، لكنه عاش بعد تأليف هذا الكتاب عشر سنوات أخرى، لم يكتب خلالها عن نفسه شيئاً، فبقيت تلك الفترة من حياته مجهولة إلى حد كبير.

هو حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب الأقحصاري، المشهور بـ «الكافي» البوسنوي. ولد في بلدة أقحصار[1] في ولاية البوسنة اليوغسلافية، وكانت ولادته سنة إحدى وخمسين وتسعمائة.

يقول عن نسبه: «حكى والدي ـ تغمده الله بغفرانه ـ وبعض الثقات من أقرانه أن جدي المرقوم يعقوب المرحوم قد عاش

(١) أقحصار كلمة تركية، معناها المدينة البيضاء، وهي ترجمة حرفية لاسم المدينة عند سكانها الأصليين، ثم اشتهرت عندهم باسم «بروساتس» وهي موجودة إلى اليوم بهذا الاسم.

مائتين[١] وسبعاً وعشرين سنة، وكان مولده في جانب إسكندرية الرومية[٢]، ثم ارتحل إلى قرية ذيب بناحية أقحصار، وهو نصراني، ثم هداه العزيز الغفار فأسلم عند مجيء أبي الفتح السلطان محمد خان[٣] لفتح ديار أقحصار، وعاش في الإسلام إلى أوائل سلطنة السلطان سليمان خان[٤] عليه الرحمة والغفران. وإن جدي داود المرحوم قد عاش إلى سبعين سنة، وشهد غزوات، ثم استشهد عند محاصرة القلعة المعروفة بـ «ورانيه» من قلاع خروات[٥]. وعاش والدي ـ رحمه الله ـ بالقناعة والصلاح ستاً وتسعين سنة، ثم توفي بأقحصار في المحرم سنة أربع وتسعين وتسعمائة، عفا عنهم العفو الغفار.

وسمعت من والدتي المرحومة أن هذا العبد الضعيف وُلد بأمر الله اللطيف يوم الجمعة بعد العصر في رمضان سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، في زمان السلطان العادل سليمان خان بن السلطان سليم[٦] خان بن السلطان بايزيد خان[٧] بن السلطان أبي الفتح محمد خان ـ عليهم رحمة ربهم الرحمٰن»[٨].

---

(١) هكذا جاء في مخطوطة الكتاب رقم ٩٤٦ لوحة ١٦ ـ ب، وذكر المؤرخ صالح صدقي أنه عاش مائة وعشرين سنة. (تاريخ ديار بوسنة ص: ٧٧ مخطوط باللغة التركية) ولعل هذا هو الصواب، وذاك غلط من ناسخ.

(٢) اسكندرية مدينة مشهورة في جنوب يوغسلافيا على حدود ألبانيا، (الموسوعة اليوغسلافية الميسرة ص: ٩٠٢).

(٣) هو محمد الثاني الفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١ م).

(٤) هو السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ م).

(٥) خروات (كرواتيا) إحدى الجمهوريات الست اليوغسلافية، تقع غرب جمهورية بوسنة وهرسك.

(٦) هو السلطان سليم بن بايزيد (١٥١٢ ـ ١٥٢٠ م).

(٧) هو السلطان بايزيد بن محمد الفاتح (١٤٨١ ـ ١٥١٢ م).

(٨) نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء لوحة ١٦ ـ أ.

نشأته

لم يُخبرنا المؤلف ـ رحمه الله ـ عن فترة حياته من بعد الولادة إلى بداية طلبه للعلم، وما زالت تلك الفترة من حياته مجهولة، لكنني أستطيع من خلال عباراته أن أطرح بعض الاحتمالات.

قال في ترجمته عن نفسه: «ثم أخذت في التحصيل وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ولما تيسر لي تحصيل مبادىء العلوم في بلادنا ارتحلت إلى دار السعادة قسطنطينية المحمية في أوائل سلطنة السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والغفران»[1].

فمن المعروف أن الأطفال في ذلك الوقت كانوا يتلقون الدروس الأولى في الكتاتيب المحلية التابعة للمساجد[2]، فمن المرجح أنه تلقى شيئاً من المعلومات الأساسية في بلدته التي ولد فيها، كما أنه من المحتمل أن يكون أبوه هو معلمه الأول، حيث كانت العادة أن يشارك الرجال كلهم في الحروب الدائرة في تلك المنطقة، إلا العجزة والأئمة والمعلمون. وذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن جده اشترك في عدة معارك، واستشهد في إحداها، وقال عن أبيه إنه عاش بالقناعة والصلاح ستاً وتسعين سنة، ولم يذكر أنه شارك في الحرب، وربما كان ذلك لكونه معلماً، والله أعلم.

ثم بعدما بلغ اثنتي عشرة سنة التحق بإحدى المدارس (الثانوية) الرسمية في بلده آنذاك. والمعروف كذلك أن المدارس في ذلك الوقت لم

---

(١) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ أ.

(٢) وما زالت هذه الطريقة موجودة في تلك البلاد، حيث ليس فيها مدارس ابتدائية دينية، فيتعلم الأطفال المسلمون أساسيات الدين الإسلامي وقراءة القرآن الكريم في المساجد.

تكن منتشرة في مدن المنطقة، بل انحصر وجودها في مدينة سراييفو (عاصمة المنطقة)، والوثائق التاريخية أثبتت وجود ثلاث مدارس فيها في تلك الفترة: مدرسة فيروز بك ـ المؤسسة حوالي سنة ١٥١٢ م. ومدرسة خسرو بك ـ المؤسسة سنة ١٥٣٧ م. ومدرسة كمال بك ـ المؤسسة سنة ١٥٤٠ م[١].

فمن المحتمل أن المؤلف ـ رحمه الله ـ درس في إحدى المدارس الثلاث، وبقي فيها طالباً قرابة عشر سنين، ثم رحل إلى القسطنطينية وعمره ثلاث وعشرون سنة، ودرس فيها على كبار شيوخ ذلك الزمن، حتى أجيز بالتدريس ورجع إلى بلده سنة ١٥٧٥ م.

(١) انظر تراث مسلمي البوسنة والهرسك العلمي باللغات الشرقية ص: ١٦٣.

obeikandl.com

وظائفه وأعماله

يرجع المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى بلده بعد إنهائه الدراسة في استانبول، ويبدأ بتدريس الطلاب في بلدته وتأليف بعض الكتب، يقول عن ذلك: «ولما منحني الله بعضاً من الفنون ونبذاً من العلوم، رجعت إلى بلدنا أقحصار المرقوم سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، فمن الله تعالى عليّ بعقد مجلس الدرس لطلبته، حتى شرعت بعناية مجيب الدعوات في بعض التأليفات... ثم ابتليت بقضاء أقحصار سنة إحدى وتسعين وتسعمائة»[1].

هذا ما قاله المؤلف عن نفسه بعد رجوعه من استانبول، إلا أننا نجد معاصره العطائي ـ الذي كتب عنه ـ يذكر أن المؤلف ـ رحمه الله ـ بعد رجوعه بفترة يسيرة، ترك التدريس في بلدته وعُين مساعداً لمفتي البوسنة في عاصمتها سراييفو، حيث شاركه في دراسة عقيدة الحمزوية[2] التي انتشرت في شمال البوسنة، وعُرفت بأفكارها الخارجة عن دين الإسلام، وذلك سنة ٩٦٨.

---

(١) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ ب.

(٢) طريقة من الطرق الصوفية نُسبت إلى مؤسسها الشيخ حمزة البوسنوي، ولد في إحدى قرى بلاد البوسنة وكان منتسباً إلى الطريقة البيرامية، وكان خليفة الشيخ حسام الدين الأنقروي، واستمر وهو خليفته خمسة أعوام، ثم ظهرت منه أمور مخالفة للشرع، فقتل بإستانبول بعد أن حكم عليه بالقتل كبار القضاة. ويَحكي ابن نوعي أنه حضر قتله أحد محبيه فلما رأى سقوط شيخه حمزة أخذ سكيناً وذبح نفسه وجعلها أضحية في سبيل شيخه. ولم تنته فتنته بقتله، بل أخذ أتباعه ينشرون مذهبه الفاسد بعده، وكانوا يدعون أنهم أهل الطريقة والحقيقة، ولم يكن ينطوي تحت ذلك إلا نبذ الشريعة وطلب الإباحية الواسعة. واستمروا على ذلك حتى قضى عليهم الشيخ حسن كافي وبعض مساعديه من القضاة بقتل عدد منهم، وتوبة بعضهم، وتشريد الباقين حتى لم يعد لهم وجود. يقول صاحب الجوهر الأسنى: «لم يبق لهم الآن أثر، وهلكوا منذ أمد بعيد، ولولا التاريخ لم نعرف ذكرهم». انظر الجوهر الأسنى ص: ٤٢ و ٦٨.

ثم أصبح ملازماً للمفتي ومنح بذلك مرتبة القاضي واختار لنفسه مجال القضاء[١].

ويؤكد ذلك المؤلف نفسه حيث يقول إنه درس على يد «الشيخ الفاضل العلامة في مشكلات الأحاديث والآي، القاضي والمفتي بمحروسة سراي، قدوة مشايخ الأعالي، عمدة أفاضل الموالي أبو المعالي، مولانا بالي بن يوسف، الشهير بمعلم الوزير الأكبر»[٢].

يرجع بعد ذلك المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى بلدته أقحصار ويواصل التدريس إلى أن عُين قاضياً فيها سنة ٩٩١ هـ. وبعد انتهاء مدة التعيين ـ وكانت عشرين شهراً[٣] ـ سافر إلى استانبول والتقى بالعلماء المشهورين، وعُين قاضياً في ولاية سريم، في شمال منطقة البوسنة، وبقي فيها قاضياً ومدرساً حتى انتهت تلك المدة كذلك.

ثم سافر إلى الحج سنة ١٠٠٠ هجرية، يقول ـ رحمه الله ـ عن ذلك السفر: «وعند ذلك شرفني الله اللطيف بشرف سفر الحج الشريف في السنة السنية التي هي رأس ألف من الهجرة النبوية...»[٤].

ويُعين بعد رجوعه من سفر الحج قاضياً في إحدى ضواحي أقحصار، إلى أن بدأت الحروب والقلاقل، وانتشر الفساد، الأمر الذي جعله يترك القضاء، ويتفرغ لتأليف الكتب وتدريس الطلاب في بلدته.

لكن روح العالم المجاهد العامل لا تهدأ، فلم يبق ـ رحمه الله ـ منعزلاً عن الأحداث الكبيرة التي جرت حوله، بل تابعها بكل اهتمام، وشارك في المعارك العسكرية بنفسه، ولم يكتف بذلك، بل سجل ما رآه من عيوب نظام الدولة السائد، وأسباب الضعف وظهور الفساد، وألّف كتابه المشهور «أصول الحكم في نظام العالم» بيّن فيه الأصول الصحيحة والأسس القويمة التي عليها تقوم وبها تدوم الدولة. ثم عرض كتابه هذا

---

(١) انظر حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ١: ٢٨٣.

(٢) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ أ.

(٣) كانت المدة المحددة للقاضي المعين في القانون العثماني عشرين شهراً، ثم يعين مرة أخرى للمدة نفسها، أو يغير مكان الوظيفة.

(٤) نظام العلماء لوحة ١٧ ـ ب.

على العلماء وبعض الوزراء، وقائد الجيش في إحدى المعارك، فأعجبوا جميعاً بما فيه ونصحوا المؤلف بأن يفسره باللغة التركية، حتى يستطيعوا عرضه على السلطان. ففعل ذلك وذهب بنفسه إلى العاصمة (استانبول) وقدم الكتاب إلى قائد الجيش العام[١] الذي كان أصله من منطقة المؤلف، ثم عرضه القائد هذا على السلطان[٢] الذي استحسنه وأمر بنسخه والعمل بما فيه، وجازى المؤلف بأن جعله قاضياً على بلدته أقحصار مدى الحياة، شريطة أن لا يقطع درسه عن الطلاب، كي يُستفاد من علمه، كما وهبه هبة مالية كبيرة[٣] أقام المؤلف ـ رحمه الله ـ من أموالها حياً جديداً في بلدته، بنى فيه مسجداً أو مدرسة ومحكمة وداراً للذكر، وبقي قاضياً ومدرِّساً فيه إلى نهاية حياته، لم يخرج منه إلا للجهاد.

وشارك ـ رحمه الله ـ في أكثر معارك تلك المنطقة إلى آخر أيام حياته، حتى أنهى كتابه الذي نحن بصدد تحقيقه أثناء محاصرة قلعة أسترغون، حيث شارك في تلك المعركة كعضو في اللجنة الاستشارية لقيادة الجيش العثماني سنة ١٠١٤ هـ. كما يقول في نهاية كتابه أزهار الروضات شرح روضات الجنات الذي أتمه كذلك أثناء مشاركته لمحاصرة القلعة المذكورة.

يقول: «قد كان تسويد المتن في آخر رجب لسنتين وألف من الهجرة النبوية، ثم تبييضه وتكميله في غزوة فتح أسترغون ـ صانه الله عن نكبات المنون ـ مع تشتت البال وكثرة الأشغال بالمشاورة والرأي في أسباب الفتح والظفر، وتدبير أحوال العسكر مع الوزير الكبير المظفر الغازي محمد باشا ـ يسر الله كل ما يشاء، في أوائل جمادى الأولى سنة أربع عشرة وألف...»[٤].

وبعد هذا التاريخ لا نجد أي معلومات عن حياته إلى الوفاة، ومن

---

(١) هو الحافظ أحمد باشا المتوفى سنة ١٠٤١ هـ. تولى ولاية البوسنة مدة يسيرة، كما تولى الصدارة العظمى مرتين. وقد صرح المؤلف باسمه كما في إحدى النسخ المخطوطة للكتاب. انظر أصول الحكم في نظام العالم (المطبوع) ص: ٦ و ١٩.

(٢) هو السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ ـ ١٦١٧) وتأتي ترجمته.

(٣) انظر نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء لوحة ١٨ ـ ب و ١٩ ـ أ.

(٤) أزهار الروضات شرح روضات الجنات لوحة ٦٤ ـ ب.

المرجح أنه استقر في بلدته ـ لا سيما بعدما أبرم الصلح بين الدولة العثمانية ومملكة النمسا مدته عشرون سنة[1] ـ وتفرغ للتدريس والقضاء والتأليف، وإنشاء مرافق الحي الجديد الذي سبق ذكره، كما أنه قام بتوصيل مياه عذبة للشرب إلى ذلك الحي الذي توسع وصار بلدة بنفسه.

زار الرحالة التركي المشهور أوليا شلبي بلدة المؤلف ـ رحمهما الله تعالى ـ بعد وفاته بخمس وأربعين سنة ووصف الأوقاف التي أوقفها، وسجل في كتابه[2] أن الدكان الذي بناه حسن كافي تم بناؤه سنة ١٠٢١ هـ. فيؤكد ذلك احتمال ما قلته.

هذا ويمكن حصر أعمال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في الأمور التالية:

أولاً: جهاده المتواصل في نصرة هذا الدين وإعلاء كلمته.

فقد جاهد ـ رحمه الله ـ قولاً وعملاً، وكان قدوة حية تمثل العالم المجاهد العامل الذي ينبغي أن يكون على شاكلته كل عالم كان علمه لوجه الله تعالى.

شارك في المعارك التي دارت في تلك المنطقة مشاركة فعلية كاملة: كجندي عادي حيناً، وككبير من كبار المستشارين في القيادة حيناً آخر، مطبقاً بذلك كل ما تعلم وعلمه للآخرين من الإخلاص لله تعالى، وبذلِ كل ما أمكن من هذه الدنيا الفانية في سبيل تحقيق الغاية التي لأجلها خُلق الإنسان.

اهتم بحال الأمة اهتماماً كبيراً وحاول إصلاح ما بدأ يفسد في المجتمع الإسلامي آنذاك، قدر المستطاع، وضرب بذلك مثلاً رائعاً، حيث رأى أنه لا بد للأمة من أسس وقواعد سليمة تبني عليها مجتمعها ودولتها، فألّف كتاباً شرح فيه تلك الأسس والقواعد، وكشف عن العيوب الحاضرة في المجتمع الحالي والنظام السائد، وعرض ذلك كله على الخليفة نفسه، مؤدياً بذلك واجبه الإسلامي.

---

(١) تراث مسلمي البوسنة وهرسك العلمي باللغات الشرقية ص: ١٧٦ (باليوغسلافية).

(٢) سياحة نامة ص: ١٣١ ـ ١٣٤. (القسم المترجم إلى اللغة اليوغسلافية).

ولأنه كان يبتغي بذلك كله وجه الله سبحانه وتعالى دون غيره، لقيت كتاباته قبولاً كبيراً لدى الناس في حياته وبعد مماته إلى يومنا هذا، وما زالت آثارها الطيبة تُسجل ـ بإذن الله تعالى ـ في ميزان حسناته.

ثانياً: نشره للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي نُقلت إلينا من السلف الصالح، دون الشوائب والغوامض التي أُلحقت بها فيما بعد، ونشر الأخلاق الإسلامية صافية سليمة كما جاء بها الإسلام، لا كما حُرف كثير منها وانتشر بتلك الصور الخاطئة في البيئة المحيطة به.

أدرك ـ رحمه الله ـ تمام الإدراك أن العقيدة هي أساس المجتمع وعلى صحتها وسلامتها تتوقف صحته وسلامته، فألّف في العقيدة عدة تآليف، وحاول أن يتحرر من قيود التقليد السائد في وقته، فلم يُردد ما كان منتشراً من الأفكار والمتون القديمة، بل ذهب يُهذّب ويبسط تلك المؤلفات المشهورة، حيث لم يكتب شيئاً إلا إذا أسنده إلى دليل من الكتاب أو السنة، وأيده ببرهان عقلي إن أمكن، رداً على من زعم خلافه.

ثالثاً: انطلاقاً مما كان يعتقد، ومحاولة منه لنشر الحق بجميع الوسائل، حارب الفرق الصوفية المنحرفة التي راجت أفكارها الملحدة في بعض مناطق الولاية.

فسبق أن ذكرت أنه درس مع مجموعة من العلماء عقيدة الطريقة الحمزوية المشهورة والمنتشرة في شمال الولاية، حيث حكموا على رؤسائها بالكفر وأمروا بقتلهم وحَبْس بعض مريديهم، فنُفذ ذلك وقُضي ـ بفضل الله ـ على مصدر من مصادر الشر والفتنة في تلك المنطقة[1].

رابعاً: ولعل من أعظم الأعمال التي قام بها ـ رحمه الله ـ تدريسه لطلبة العلم طول حياته، وإقامته المدرسة المشهورة بجميع مرافقها، حيث صارت بها بلدته المركز الثالث من مراكز العلم الكبيرة في الولاية كلها.

والذي رفع من شأن المدرسة إعطاؤه إياها طابعاً حديثياً، فاشتهرت بمدرسة الشيخ حسن كافي الحديثية، وخرجت أعداداً كبيرة من العلماء والمدرسين والقضاة الذين ساهموا في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة

---

(١) انظر الجوهر الأسنى ص: ٤٢.

والمدرسين والقضاة الذين ساهموا في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة عدة قرون. ويتبين ذلك واضحاً من ذكر بعض تلاميذه في الفصل القادم بإذن الله تعالى.

وما زال المسجد الذي بناه قائماً، وتُصلى فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، وتدرس الأطفال أساسيات الدين الإسلامي وقراءة القرآن الكريم بالعربية.

وأُغلقت مدرسته مع إغلاق أكثر المدارس الإسلامية في المنطقة، بعد مجيء الحكم الشيوعي إثر نهاية الحرب العالمية الثانية.

خامساً: ومما يجب ذكره من أعماله، مؤلفاته الكثيرة المتنوعة التي اشتهرت في زمنه وبعد وفاته، وما زالت محل الاهتمام، حيث يُترجم ويُحقق ويُطبع عدد منها باللغات المختلفة، وسيأتي ذكرها بالتفصيل، إن شاء الله تعالى.

obeikandl.com

زهده وورعه

كان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كما مر، مطلعاً على علوم كثيرة، كالفقه، والأصول، والنحو، والصرف، والمنطق، والأدب، والتاريخ، والسياسة الشرعية، وغير ذلك. ومما يزيد من علو شأنه أنه مع ذلك كله كان في الوقت نفسه زاهداً ورعاً، يكتفي بالقليل من هذه الدنيا ويتقي الله ـ سبحانه وتعالى ـ في حياته الشخصية والعلمية، وفي شؤونه كلها.

ينقل صاحب الجوهر الأسنى من بعض المصادر ما نصه: «يحكي ابن نوعي، وكاتب شلبي أنه صام الدهر نحواً من ثلاثين سنة، وأنه كان يفطر في ثلاثة أيام مرة، عشرين سنة، ويتخذ صوم داود شعاراً لنفسه، ويلبس مكان القميص اللطيف ثوباً خشناً. وكان يبغض مشايخ الطرق في زمانه، ويعترض عليهم ويقرعهم بحجج الشرع، ويقول: لو كانت الكرامة تُنال بالرياضة لنلتها. يقول ذلك تواضعاً وهضماً للنفس، وحكى غيرهما أنه كان في الطريق الموصل إلى بيته محل يُغنى فيه ويُضرب بآلات اللهو، فكان لا يمر من هذا الطريق إذا مشى إلى بيته، بل يذهب من طريق آخر أطول منه»[1].

(١) الجوهر الأسنى ص: ٥٨.

وفاته

ذكر أصحاب التراجم الذين ترجموا له أن وفاته كانت ليلة خامس عشر من شعبان سنة ١٠٢٥ هـ. حيث ذُكر ذلك في مخطوطات بعض مؤلفاته. لكني وجدت في بعض المخطوطات الأخرى ذكر سنة ١٠٢٤، كما أن هناك مخطوطة لكتابه نظام العلماء التي نسخت من نسخة المؤلف سنة ١٠٢٦ ـ لسنتين بعد وفاة المؤلف ـ ووُجدت هذه المخطوطة في المدرسة الفوزية في مدينة ترافنيك التي تبعد عن بلدة المؤلف ٤٥ كيلو متراً، فيكون من المرجح أنها من عمل أحد تلاميذه، لا سيما وقد ذُكر في نهايتها أسماء بعض تلاميذ المؤلف الذين درسوا عنده في بلدته. وجاء في تلك المخطوطة أنه توفي في اليوم السادس عشر من رمضان سنة ١٠٢٤، ثُم كتبت في ذلك الأبيات التالية:

تاريخ وفاة كافي شيخ حسن أفندي القاضي والمفتي بأقحصار الأقحصاري
قيل الهاتف هذا التاريخ نال جاهاً ونجاةً وسروراً[1]

فإذا جمعنا قيمة الحروف العددية في الطرف الآخر من البيت الثاني نجد أنها ١٠٢٤، وهي سنة وفاته.

ودُفن مع زوجته في غرفة تحت مبنى المحكمة، وهذا المبنى موجود إلى اليوم على شكله الذي بناه ـ رحمه الله ـ على بعد عشرين متراً (تقريباً) من مسجده من الجانب الأيمن، وقد زرت هذا المكان بنفسي[2].

(١) نظام العلماء هامش لوحة ١٦ ـ ب.

(٢) انظر كتاب «بروساتس وآثاره التاريخية» فقد وصف ما بقي من آثار المؤلف بالتفصيل، مع بعض الصور لها.

obeikandl.com

حياته العلمية

المبحث الأول: طلبه للعلم

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: ثقافته ومؤلفاته

المبحث الرابع: مكانته العلمية

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه

obeikandl.com

obeikandl.com

طلبه للعلم

كانت عاصمة الخلافة العثمانية هي مركز العلم والثقافة في عصر المؤلف، خاصة بالنسبة إلى أهل الجزء الأوروبي من الدولة. فكانت العادة أن يذهب الطالب لنيل الشهادات العليا إلى استانبول، رغم وجود عدد من المدارس وكبار المشايخ في تلك البلاد.

فنرى المؤلف ـ رحمه الله ـ بعدما أخذ العلوم الأولية في بلاده، يرحل إلى الأستانة (استانبول) ويتعلم في إحدى مدارسها، ثم يلحق ببعض الشيوخ ملازماً لهم، حتى حصل على إجازات التدريس منهم، وكانت «الملازمة» شرطاً لكل متخرج حتى يتمكن من التعيين في مجال التدريس أو القضاء.

يقول ـ رحمه الله تعالى: «ولما تيسّر لي تحصيل مبادىء العلوم في بلادنا ارتحلت إلى دار السعادة قسطنطينية المحمية في أوائل سلطنة السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والغفران. وأخذت من المشايخ والعلماء، واشتغلت عند كثير من الفضلاء، حتى انتسبت إلى خدمة الشيخ الفاضل الكامل، والعالم الأستاذ العامل، معيد الإمام كمال باشا زاده[1] المتقاعد بالتدريس في بلدة جتالجة ـ تغمده الله برحمته، وصرت متتلمذاً من حضرته العزيزة، متلذذاً بصحبته اللذيذة، مقتبساً من أنوار أنفاسه الشريفة، مغترفاً من بحار أبحاثه اللطيفة، فأخذت ما أخذت من حضرته، ووجدت ما وجدت من خدمته، عوضه الله بجنته»[2].

(١) هو حاجي أفندي قره ييلان المشهور بمعيد كمال باشا زادة، توفي سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة. ترجم له المؤلف في نظام العلماء تحت رقم ٢٨، لوحة ١٦ ـ أ.

(٢) نظام العلماء، لوحة ١٧ ـ أ.

ثم ذكر بعض مشايخه الكبار ـ يأتي ذكرهم ـ إلى أن قال: «ولما منحني الله بعضاً من الفنون، ونبذاً من العلوم رجعت إلى بلدنا أقحصار المرقوم سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة»[١]. فتكون مدة دراسته التي قضاها في استانبول حوالي تسع سنين، ورجع إلى بلده وعمره فوق ثلاثين سنة.

ثم تتلمذ على يد «الشيخ الفاضل العلامة في مشكلات الأحاديث والآي، القاضي والمفتي بمحروسة سراي، قدوة المشايخ الأعالي، عمدة أفاضل الموالي، أبو المعالي بالي بن يوسف الشهير بمعلم الوزير الكبير»[٢] الذي كان قاضياً ومفتياً لديار البوسنة.

لقد ساعده المؤلف في دراسة عقيدة الطريقة الحمزوية، ثم صار ملازماً له، وأخيراً أجيز بالقضاء سنة ٩٨٧ هـ[٣].

وتُعتبر رحلته إلى الحج من رحلاته العلمية التي التقى أثناءها بكثير من علماء المراكز الإسلامية المشهورة، مثل القدس، ودمشق، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة وغيرها، ناقش معهم المسائل العلمية المختلفة، كما أنه عرض عليهم بعضاً من تآليفه، وخاصة كتابه: «سمت الوصول إلى علم الأصول» الذي أتمه في بداية هذه المرحلة.

يقول ـ رحمه الله ـ: «... شرعت في تصنيف كتاب سمت الوصول إلى علم الأصول، وعند ذلك شرفني الله بشرف الحج الشريف، في السنة السنية التي هي رأس ألف من الهجرة النبوية. فبعناية الله تعالى وتبارك أتممته في ذلك السفر المبارك، فعرضته على علماء القدس والشام الشريفتين، ثم فضلاء مشايخ الحرمين المحترمين، خصوصاً على شيخنا وأستاذنا الشيخ الأنور ميرغضنفر ـ أعزه الله العزيز الأكبر ـ فبعد قبولهم بالاستحسان أكرموني بمزيد الإحسان، أكرمهم الله الملك المنان يوم الحساب والميزان...»[٤].

يضاف إلى ما سبق رحلاته العديدة إلى استانبول التي كان يلتقي

---

(١) المصدر السابق، لوحة ١٧ ـ ب.

(٢) المصدر السابق، لوحة ١٦ ـ أ.

(٣) تراث مسلمي البوسنة والهرسك العلمي باللغات الشرقية، ص: ١٦٦.

(٤) نظام العلماء ١٧ ـ ب.

خلالها بعلماء العاصمة، ويناقشهم في المسائل العلمية، ويعرض عليهم تأليفاته ويستشيرهم فيها.

منها رحلته التي عرض فيها كتابه أصول الحكم في نظام العالم على السلطان نفسه. يقول عنها: «فبعدما شرحته بأوضح العبارات وأصح الاعتبارات في رجب المرجب لسنة خمس وألف، تركت القضاء وعزمت إلى دار السلطنة قسطنطينية المحمية، حماها الله في ظل واليها عن البلية، وحفها بالبركات السنية والميامن البهية، فإذا لاحظه من بيده العقد والحل[1] ـ أعزه الله عزّ وجلّ ـ عرضه مع بعض مؤلفاتي على الحضرة العلية وأرسله إلى السُدة السنية، لا زالت مرجعاً لطوائف الأنام، وملجأً للعلماء الأعلام. فلما لمعت لمحة من تقليب حدقته الكريمة على تلك الأوراق ـ أرجو أن تكون محرراتي نور الحدائق ونور الأحداق ـ وإذا لمحت لحظة من عين عنايته العميمة بتعقيب شيء من الالتفات ـ آمل أن تصير مؤلفاتي ثقة للأعيان وعيناً للثقات ـ وذلك لما أنه ـ خلد الله ملكه وأيد دولته ـ أعطاني قضاء أقحصار بخطه الشريف المبارك جليل الاعتبار، على طريق التأبيد والتقاعد، بشرط التدريس لطلبة الديار»[2].

ثم استقر بعد ذلك في بلدته مدرساً في مدرسته المشهورة، ومفتياً للناس، وقاضياً بينهم في مسائل الشرع، وخاصة في أحكام الزواج والمواريث.

---

(١) هو الوزير الأعظم الحافظ أحمد باشا، كما جاء في إحدى نسخ الكتاب. هذا ويحتمل أن المؤلف بقي في إستانبول فترة، وألّف أثناءها كتابه نظام العلماء، حيث يُستبعد أنه استطاع أن يرجع إلى كل تلك المراجع التاريخية القيّمة في بلدته، بل يترجح أنه راجع المكتبات الغنية في إستانبول إلى صدور الأمر السلطاني بتعيينه قاضياً في بلدته أقحصار على وجه التأبيد.

(٢) نظام العلماء لوحة ١٨ ـ ب و ١٩ ـ أ.

obeikandl.com

شيوخه وتلاميذه

سبق أن ذكرت أن المصدر الوحيد لأغلب المعلومات المتعلقة بحياة المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هو ما كتبه المؤلف عن نفسه. فقد ذكر أنه درس على كثير من العلماء، ولازم كثيراً من الفضلاء، لكنه لم يسمّ إلا عدداً قليلاً منهم، ولم أجد أحداً ممن كتب عنه زاد في أسماء شيوخه شيئاً على ما ذكره ـ رحمه الله ـ

ويُلاحظ من عباراته التي يصف بها شيوخه أنه كان يجلهم إجلالاً كبيراً، حيث يصفهم بألقاب علمية مختلفة، وأوصاف حميدة متنوعة، وسبق شيء منها في عباراته المنقولة، فأكتفي هنا بذكر أسمائهم دون تلك الأوصاف.

أولاً ـ الذين صرح بأسمائهم:

١ ـ حاجي أفندي قره ييلان المشهور بـ «معيد كمال باشا زاده» لأنه كان معيداً لكمال باشا زاده المشهور ـ صاحب كتاب «الصلاة» الذي شرحه المؤلف ـ ثم صار (حاجي أفندي) أمين فتواه إلى أن أُحيل على التقاعد، بشرط أن يدرس بمدرسة علي باشا في بلدة جتالجة قرب استانبول، وقد كان بارعاً في علم الفقه خاصة. توفي سنة ٩٨٣ هـ. وقد جاوز المائة. ترجم له المؤلف في «نظام العلماء» تحت رقم ٢٨[(١)].

٢ ـ ملا أحمد الأنصاري المشهور بـ «العجم»، كان مدرساً في عدة مدارس في ضواحي استانبول، ثم في مدرسة حسن بك زاده، ومدرسة إسمِهان في استانبول نفسها. ويبدو أن المؤلف درس عنده في إحدى تلك المدارس، وأخذ عنه التفسير والأصول، على حسب تعبيره[(٢)].

(١) انظر نظام العلماء لوحة ١٦ ـ أ.

(٢) انظر نظام العلماء لوحة ١٧ ـ ١.

٣ ـ بالي أفندي بن يوسف البوسنوي، المشهور بـ «معلم الوزير الأكبر». كان معلماً للأولاد، ثم تقلب في عدة وظائف إلى أن صار قاضياً في ولاية بوسنة. وكان مشهوراً بالعلم والصلاح. توفي سنة تسعين وتسعمائة. لازمه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وساعده في تنفيذ مهمة دراسة عقيدة الطريقة الحمزوية، وقد مرّ ذكر ذلك[١].

٤ ـ ميرغَضَنفَر بن جعفر الحسيني، كان أستاذاً لسلطان الهند جلال الدين الأكبر، ثم استوطن ـ بعد تقاعده ـ المدينة الطيبة، ودرّس في المسجد النبوي الشريف. وقد حضر المؤلف بعض دروسه أثناء رحلة الحج، والتقى به وعرض عليه بعض تآليفه، فأثنى عليها ثناءً كبيراً[٢].

تلاميذه:

كما أن المؤلف ـ رحمه الله ـ كان يجلّ شيوخه، ويلقبهم بألقاب علمية مختلفة، فكذلك شأنه مع تلاميذه، حيث ترجم لثلاثة منهم وأثنى عليهم ثناءً بالغاً، وهم:

١ ـ «ومن أجلّ أصحابنا المجاهدين، وأعزّ أحبابنا الأقحصاريين فخر القضاة العادلين، زخر الولاة المقسطين، القاضي علاء الدين علي بن مصطفى بن حسام الدين» المشهور بشيخ زاده. وأحد شعراء المنطقة المشهورين، وشعره باللغة التركية[٣].

٢ ـ القاضي محمد بن أحمد بن يوسف الدين، المشهور بآغا زاده[٤].

٣ ـ الإمام الخطيب منلا محمد بن حسن[٥].

هؤلاء هم الذين ذكرهم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وقد وجدت على هامش مخطوطة كتاب نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء رقم ٩٤٦، أسماء تلاميذ المؤلف الآخرين، أضافها القاضي خليل بابا الأقحصاري

---

(١) انظر المصدر والمكان السابقين، وترجم له صاحب الجوهر الأسنى، ص: ٤٢.

(٢) انظر نظام العلماء لوحة ٧١ ـ ب.

(٣) نظام العلماء لوحة ١٩ ـ ب، وانظر ترجمته في تراث مسلمي البوسنة ص: ٢٤٩ ـ ٢٥١.

(٤) انظر نظام العلماء لوحة ١٩ ـ ب.

(٥) انظر المصدر والمكان السابقين.

النوآبادي، تلميذ أحد تلاميذ المؤلف، وأدرك المؤلف كذلك، كما قال عن نفسه في الصفحة ٣٦ من تلك المخطوطة.

ذكر أسماء الأقحصاريين أولاً، وهم على حسب ما سماهم:

٤ ـ مولانا إسماعيل كمال القاضي.

٥ ـ مولانا حمدي.

٦ ـ أخوه الأصغر القاضي.

٧ ـ مولانا أحمد بن محمد، المشهور بخوجا زاده.

٨ ـ أخوه الأصغر، مولانا محمد القاضي.

٩ ـ مولانا محمد بن علي القاضي، المشهور بشيخ زاده.

١٠ ـ مولانا محمد المدرس، المشهور بكويو زاده.

١١ ـ مولانا رجب بن محمد ـ زائر الحرم المحترم ـ القاضي.

وغيرهم من المفكرين والمدرسين والأئمة والخطباء الراسخين في العلم.

ثم ذكر أسماء النوآباديين[1] على النحو التالي:

١٢ ـ أستاذنا مولانا الشيخ حسن، المشهور باسم جوزي زاده.

١٣ ـ أعز أحبابنا وأخونا، مولانا الشيخ حسن الخطيب.

١٤ ـ مولانا عباس الخطيب.

١٥ ـ مولانا محمد، معيد شيخ الإسلام يحيى، المشهور بمتولي زاده.

١٦ ـ مولانا رضوان بن حلمي، إمام وخطيب ومدرس أمير الأمراء محمد بك مالقوج.

١٧ ـ ومن أفقر وأصغر تلاميذه هذا العبد الفقير الضعيف خليل بابا أوروج[2].

هذا ولم تزل مدرسته تخرج أجيالاً من العلماء تضيء الطريق السليم لأهل تلك المناطق قروناً عديدة، إلى أن جاءت النكسة الكبرى، وتمزقت

---

(١) توسع الحي الذي أقامه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ونشأ بجانبه حي جديد سُمي بـ «نوآباد»، (الحي الجديد).

(٢) نظام العلماء لوحة ١٩ ـ ب.

الدولة العثمانية، وألغيت الخلافة. ثم هدّمت الحرب العالمية الأولى ما هدمت من القيم والمعالم الإسلامية إلى أن حكم تلك البلاد الحزب الشيوعي إثر نهاية الحرب العامة الثانية، وأغلق جميع المدارس الدينية، وقضى على أكثر العلماء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد شهدنا ـ بفضل الله تعالى ـ في الأيام الأخيرة سقوط الشيوعية العالمية، ورأينا مسلمي تلك البلاد بمجرد ما سُمح لهم أن يعبروا عن شخصيتهم صراحة، وبمجرد ما تُركوا وشأنهم، يرجعون إلى الإسلام، ويؤكدون أن الإسلام هو الهوية الحقيقية الوحيدة لهم.

فأجريت في جمهورية البوسنة والهرسك ـ في العام الماضي ـ الانتخابات الحرة لأول مرة بعد أكثر من خمسة وأربعين سنة، وفاز فيها المسلمون، وصار رئيسها الجديد أحد مفكري المسلمين المشهورين، الذي أوذي في سبيل دينه خلال فترة الحكم الشيوعي، كما صار وزراء أهم الوزارات من المسلمين المشهورين بتمسكهم بدينهم، ولله الحمد والمنة. وسبحان الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

وقد طالب المسلمون باسترجاع جميع الأوقاف الإسلامية التي صودرت، وفَتْح جميع المدارس الإسلامية التي أُغلقت، ووعدت الحكومة الجديدة بتنفيذ ذلك كله، فنرجو أن يكون في ذلك نصيب أكبر لأوقاف الشيخ حسن كافي الأقحصاري وأن تعود مدرسته، تُسهم من جديد في بناء المجتمع الإسلامي الرصين في تلك الديار المسلمة، وسط العالم المسيحي والمجتمع العلماني المادي الأوروبي.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينصرنا في تحقيق ذلك، وأن ينصر جميع المسلمين فيما يحبه ويرضاه.

ثقافته ومؤلفاته

كما أننا نجد نقصاً في المعلومات عن حياة المؤلف، تنقصنا كذلك المعلومات الكافية عن بعض تآليفه. فمن المعروف أن الشيخ حسن كافي ـ رحمه الله ـ كتب الشعر كذلك، وباللغات الثلاث ـ العربية والتركية والفارسية ـ ولم نعثر إلى الآن إلا على عشرة أبيات تقريباً، وكلمات محدودة قيلت في مناسبات معينة.

أما الكتب التي ألفها، أو شرح فيها كتباً أخرى، فهي كثيرة متنوعة. فقد ذكر في ترجمته عن نفسه أنه ألف أحد عشر كتاباً في خمسة من الفنون المختلفة، وذلك إلى سنة سبع وألف، وهي السنة التي ألف فيها كتابه نظام العلماء وترجم فيه لنفسه. وذكر غيره عشرة تآليف أخرى، كتبها بعد ذلك. والملاحظ أن جميع مؤلفاته باللغة العربية.

يقول عنه معاصره العطائي إنه كتب كتباً كثيرة في فنون مختلفة، وأن رسائله الصغيرة المؤلفة في مناسبات مختلفة لا تُعد ولا تُحصى[1]. ويقول الرحالة التركي المشهور أوليا شلبي أنه كتب في جميع العلوم كتاباً مستقلاً[2].

وهذه هي المؤلفات التي ذكرها في ترجمته عن نفسه:

١ ـ أول ما كتبه رسالة في تحقيق لفظ شلبي[3]

---

(١) انظر حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ٢: ٥٨٤.

(٢) أوليا شلبي أديب تركي مشهور، ورحالة معروف، تنقل في جميع أنحاء الدولة العثمانية وسجل ما شاهد فيها، فبقيت كتاباته من المصادر التاريخية المهمة. توفي سنة ١٠٥٩ هـ. تُرجم القسم الذي كتبه عن جزيرة البلقان إلى اللغة البوسنوية وطُبع هناك. انظر الصفحة ١٣١ ـ ١٣٣ من تلك الترجمة.

(٣) لفظ «شلبي» لقب من الألقاب العلمية كان يُطلق على من بلغ درجة معينة من العلم، ثم تساهل الناس في استخدامه أيام الشيخ حسن كافي، فصار يُطلق على كل غني وذي=

وذلك لأن لقب «شلبي» بدأ يُطلق ـ في زمنه ـ على كل غني ذي نسب شريف، فبين ـ رحمه الله ـ أن هذا اللقب خاص بالعلماء ولا علاقة له بالغنى والنسب.

ولهذه الرسالة مخطوطة في مكتبة غازي خسرو بك بسراييفو تحت رقم ٩٤٨.

٢ـ مختصر الكافي من المنطق.

ألفه سنة ثمان وثمانين وتسعمائة. وتوجد مخطوطة له في معهد الدراسات الشرقية المذكور تحت رقم ٥٩١.

٣ـ شرحه، ولم يُعثر عليه.

٤ـ حديقة الصلاة

في شرح مختصر الصلاة، للإمام كمال باشا زاده. وقد حصل خلط في شأن هذا الكتاب، حيث ذكر حاجي خليفة في كلامه عن كتاب مقدمة الصلاة لشمس الدين محمد بن حمزة الفناري المتوفى سنة ٩٣٤ هـ[١] أن من شروح هذا الكتاب حديقة الصلاة، الذي كتبه الشيخ حسن كافي الأقحصاري، إلا أنه لا ينسب المتن إلى المؤلف، بل ينسبه إلى كمال باشا زاده بناء على قول شيخه قره ييلان، وهو تلميذ كمال باشا المذكور. وتبع صاحب الجوهر الأسنى[٢] حاجي خليفة في ذلك، والصحيح أن كتاب مختصر الصلاة لكمال باشا زاده الذي شرحه المؤلف غير كتاب مقدمة الصلاة للفناري[٣]، وكتبه سنة ٩٩٨ كما هو مكتوب في آخر المخطوط رقم ١٩٦٨ في معهد الدراسات الشرقية بسراييفو.

٥ـ سمت الوصول إلى علم الأصول

ألّفه سنة ألف للهجرة، وعرضه على علماء الأمصار أثناء رحلة

= نسب رفيع، فعارض ذلك المؤلف ـ رحمه الله ـ معارضة شديدة، وألّف رسالة صغيرة بيّن فيها معنى هذا اللفظ، وأنه يُطلق على العلماء فقط، ولا علاقة له بالغنى والنسب.

(١) كشف الظنون ١: ٣٩٨.

(٢) انظر الجوهر الأسنى ص: ٥٧.

(٣) انظر تراث مسلمي البوسنة العلمي باللغات الشرقية ص: ١٧٩ ـ ١٨٠.

الحج، فأثنوا عليه ثناءً كبيراً، ثم طُلب منه أن يشرحه ففعل. له نسخة في المكتبة المذكورة تحت رقم ٣٤٠٦، وبلغني أن أحد طلاب الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، من إخواننا السعوديين، قد سجل رسالة الماجستير في تحقيقه.

٦ ـ شرح سمت الوصول

كتبه في بلدته أقحصار سنة ١٠٠٤ هـ. وله نسخة مخطوطة نُسخت من نسخة المؤلف، على حسب المكتوب في آخرها، وهي في معهد الدراسات الشرقية تحت رقم ٦٤٠. وله نسخ أخرى في المكتبة المذكورة.

٧ ـ أصول الحكم في نظام العالم

كتب أصله بالعربية سنة ١٠٠٤ هـ. في بلدته، ولهذا الكتاب نسخ كثيرة، منتشرة في شتى أنحاء العالم، يوجد عدد منها في المكتبة المذكورة.

٨ ـ ثم شرحه باللغة التركية سنة ١٠٠٥ هـ. وقد طُبع هذا الكتاب بأصله العربي في استانبول سنة ١٢٨٥ هـ. وطُبع أصل هذا الكتاب مترجماً إلى عدة لغات: التركية، الفرنسية، المجرية، الألمانية، والبوسنوية (اليوغسلافية). وشرحه بالعربية صاحب الجوهر الأسنى أثناء دراسته في الأزهر الشريف سنة ١٣٤٦ هـ[1].

وقد ذكر هذا الكتاب محققا شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز في مقدمتها، وقالا: «ومن مؤلفات هذا العالم الجليل كتاب أصول الحكم في نظام العالم، وهو كتاب عظيم في بابه، غاية في النفاسة، قامت بنشره الجامعة الأردنية بتحقيق الأستاذ المفضال نوفان رجا الحمود». انظر ١/ ٤٩.

٩ ـ تمحيص التلخيص، في علم البلاغة

هذب واختصر فيه كتاب التلخيص للخطيب القزويني، انتهى من تبييضه سنة ١٠١٠ هـ. له مخطوط في المكتبة المذكورة تحت رقم ١٦٨٩.

١٠ ـ روضات الجنات في أصول الاعتقادات.

---

(١) انظر المصدر السابق ص: ١٨٩ ـ ١٩٢.

أنهاه أثناء محاصرة قلعة أسترغون، مع كتابه نور اليقين في أصول الدين سنة ١٠١٤ هـ. وانتشر كتابه هذا انتشاراً واسعاً كذلك، حيث توجد نسخ منه في مكتبات العالم المختلفة، كما أن عدداً منها موجود في المكتبة المذكورة في سراييفو. وقد طُبع في استانبول سنة ١٣٠٥ هـ. كما طُبعت ترجمته باللغة التركية، والبوسنوية، والأخيرة منتشرة ومتداولة في بلادنا إلى هذه الأيام.

١١ ـ نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء

ذكر فيه سلسلة شيوخه إلى النبي ـ ﷺ ـ، ولكل واحد منهم ترجمة مختصرة مفيدة، كما ترجم لنفسه، وثلاثة من أبرز تلاميذه. ولهذا الكتاب نسخ عديدة في المكتبة المذكورة، وغيرها من المكتبات في بلادنا. وطُبع متَرجماً إلى اللغة البوسنوية سنة ١٩٣٥ م.

هذا ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ في ترجمته، وذكرت المصادر الأخرى[1] إضافة إلى ما صرّح به المؤلف المؤلفات التالية:

١٢ ـ أزهار الروضات في شرح روضات الجنات

أنهاه في شهر شوال سنة ١٠١٥ هـ. كما قال في نهايته في المخطوطة رقم ٩٠٢ في المكتبة المذكورة، وفيها نسخ أخرى لهذا الكتاب.

١٣ ـ نور اليقين في أصول الدين

هو موضوع الرسالة، ويأتي تفصيل عنه.

١٤ ـ شرح تمحيص التلخيص

شرح فيه كتابه في علم البلاغة المتقدم ذكره. له مخطوط تحت رقم ١٦٨٩ في المكتبة المذكورة.

١٥ ـ رسالة في بعض مسائل الفقه

---

(١) انظر: الجوهر الأسنى ص: ٥٤ ـ ٥٧؛ مسلمو بوسنة وهرسك في الأدب الإسلامي ص: ٥٠ ـ ٥٩؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢: ٤٤٣ و ٦٥٩؛ سياحة نامة (باليوغسلافية) ص: ١٣١ ـ ١٣٣؛ فذلكة التاريخ ١: ٣٨٠؛ حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ٢: ١٥٨٤؛ تراث مسلمي البوسنة ص: ١٧٧ ـ ١٨٢.

ذكر هذه الرسالة صاحب الجوهر الأسنى[1].

١٦ـ رسالة في حاشية كتاب الدعاوى لصدر الشريعة من كتابه شرح الوقاية.

أنهاه سنة ٩٩٤هـ. وله مخطوط في المكتبة المذكورة تحت رقم ٩٤٦ منقولة من نسخة المؤلف، على حسب المكتوب في نهايتها.

١٧ـ سيف القضاة في التعزير

رسالة صغيرة شرح فيها بعض المواضيع في باب التعزير من كتاب شرح الوقاية المذكور. وله نسخة في المكتبة المذكورة تحت رقم ٩٤٦.

١٨ـ شرح مختصر القدوري

ذكر هذا الكتاب ابن نوعي وقال إنه في أربعة مجلدات[2]، ونقل ذلك عنه غيره، إلا أنه يُعتبر مفقوداً.

١٩ـ شرح كافية ابن الحاجب ـ في النحو

ذكره أوليا شلبي في كتابه، وقال بعضهم إنه تحريف لاسم كتاب مختصر الكافي في المنطق[3].

٢٠ـ المنيرة ـ رسالة في العقيدة

ذكرها صفوت بك، وصاحب الجوهر الأسنى، ويذكر الأول[4] الخلاف في هذا الكتاب، ويقول أنه يُنسب إلى كمال باشا زاده، كذلك.

٢١ـ تاريخ غزوة أكرى

وأنكر الأستاذ حازم شعبانوفيتش نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف، وذكر أن محمد طاهر[5] أدخل هذا الكتاب في قائمة كتب المؤلف

---

(١) انظر الجوهر الأسنى ص: ٥٥.

(٢) انظر حدائق الحقائق ٢: ١٥٨٤.

(٣) انظر تراث مسلمي البوسنة ص: ١٨٦.

(٤) انظر «البوشناق» ص: ٥٥.

(٥) انظر المؤلفون العثمانيون ١: ٢٧٧.

بالخطأ، حيث لم يسبقه أحد، إلا أن صاحب الجوهر الأسنى تبعه في ذلك[1].

هذا كل ما وجدت له ذكراً من مؤلفاته، فيكون مجموعها ٢١ مؤلفاً، شُك في نسبة اثنين منها إلى المؤلف، وفي واحد منها خلاف، ولم يُعثر على ثلاثة منها مع الجزم في نسبتها إليه، ويضاف إلى ذلك الرسائل الصغيرة التي كتبها في مناسبات مختلفة، وهي كثيرة.

(١) انظر تراث مسلمي البوسنة ص: ١٩٢.

obeikandl.com

مكانته العلمية

سبقت الإشارة إلى إجماع المؤرخين على أن الشيخ حسن كافي الأقحصاري من أكبر العلماء، وأبرز الشخصيات في مجال العلوم الإسلامية والعربية في الأجزاء الأوروبية من الدولة العثمانية في ذلك العصر، بل من أبرز الشخصيات في تلك البلاد عموماً.

امتازت شخصيته بعدة خصائص جعلته مشهوراً بين أقرانه وشيوخه، بل جاوزت شهرته حدود بلاده، وأدخلته في زمرة العلماء العاملين البارزين على مستوى العالم الإسلامي عموماً.

ومن تلك الخصائص:

أولاً: طاقته الفكرية الموهوبة الهائلة التي مكنته من نيل تلك الثقافة العالية، والثقة بالنفس، الأمر الذي جعله يقف مناصراً للحق لا يخاف في ذلك لومة لائم.

ثانياً: حرصه الشديد على نشر العدل بين الناس، ووقوفه في وجه الظلم والفساد، ويُرى ذلك واضحاً في كثير من مؤلفاته.

ثالثاً: خطته الحكيمة لكيفية معالجة أمراض المجتمع الإسلامي التي بدأت تنتشر في الدولة العثمانية، وتهدد بسقوط الدولة. ولاقتراحاته تلك آثار إيجابية، حيث تنبه عدد من المفكرين إلى خطورة وأهمية ذلك الموضوع، فكتبوا فيه، ونبهوا المسؤولين، وبقي للمؤلف ـ رحمه الله ـ فضل السبق في ذلك المجال المهم.

رابعاً: عقيدته الإسلامية الصحيحة، ومحاربته لجميع فرق الضلال التي بدأت تنخر في جسم الدولة العثمانية الكبير، وتُروج أفكارها في شتى المناطق.

فأبرزت كتاباته في تعرية فضائح أفكار تلك الفرق قوتَه العلمية، وقدرته على مناقشتهم ودحض شبههم بحجج الشرع والعقل الواضحة. كما تدل كتاباته في تلك الميادين على احترام الناس له وتأثير كلمته البالغ عليهم.

خامساً: خروجه إلى الجهاد بنفسه، وتحريضه المؤمنين الآخرين على الجهاد، بل قيادته للجنود أحياناً، كل ذلك أعطى لكلمته وزناً خاصاً، حيث كان يطبق في نفسه كلّ ما تعلمه وعلمه للآخرين.

سادساً: انتاجه العلمي الكبير، ومؤلفاته المتنوعة ذات قيمة علمية كبيرة التي جاوزت حدود بلده الصغير. ووجود المخطوطات الكثيرة لها في مختلف بلدان العالم[1]، وانتشارها الكبير في مكتبات يوغسلافيا يدل على كثرة مطالعاتها ودراستها والاستفادة منها.

لقد عاش المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عصر الجمود الفكري، العصر الذي غلبت عليه الحواشي والشروح والمختصرات، وادُعي إغلاق باب الاجتهاد منذ زمن بعيد، واكتُفي بترديد أفكار القدامى وتوضيحها دون ابتكار وبناء جديد.

فكان عليه أن ينسجم مع ذلك الجو، بل كان على كل من أراد أن يقول جديداً أن يُسند آراءه إلى شخص من المتقدمين في شكل شرح لكتابه، أو اختصار له، ويكون ذلك في الحقيقة إبداء ما عنده من الآراء أو الأفكار الجديدة، حيث لا يجد لذلك طريقاً أنسب.

فنرى أكثر مؤلفاته مختصرات أو شروحاً، إلا أننا نلاحظ بوضوح شخصيته المميزة في جميع تلك الكتابات. فاختصاره لكتاب معين لم يكن مجرد اختصار، بل كان تهذيباً وتصحيحاً له في الوقت نفسه. كذلك نراه إذا كتب في فن من الفنون أو شرح أصلاً من أصوله، يوسع دائرة ذلك الفن، ويتعمق فيه، ويضيف من عنده، كما أنه لم يمرر

---

(١) وُجدت نسخ مخطوطة لبعض مؤلفاته في إستانبول، والقاهرة، وفينا، وبرلين، ولايبسيك، وباريس، وغيرها من مكتبات العالم المشهورة. انظر «حسن كافي الأقحصاري ـ المنتخب من مؤلفاته» (باليوغسلافية) ص: ١٦٥ ـ ١٧٤، فقد ذكر جميع مؤلفاته وجميع النسخ المخطوطة لها ومكان وجودها.

أفكار السابقين دون مناقشتها ونقدها وتنقيحها.

نراه ـ على سبيل المثال ـ يريد أن يكتب في العقيدة، فأدرك أن التأليف الجديد سيجد صعوبة بالغة في تقبل الناس له، بل سيجد معارضة شديدة منهم، حيث كانت كتب المتون القديمة المشهورة قد انتشرت ودُرست في جميع المدارس، فجمع تلك المتون في كتاب واحد، وشرحه شرحاً أضاف به إليها صبغة جديدة.

يقول ـ رحمه الله تعالى ـ في سبب تأليفه لكتاب روضات الجنات في أصول الاعتقادات ـ وهو أول تأليف له في باب العقيدة ـ: «فالإيمان رئيس الاعتقادات الدينية ورأسها، والعلم الكافل بتحقيقه أصلُ العلوم اليقينية وأساسها، وهو علم التوحيد والصفات، وقد وجدت فيه أحسن المصنفات، وأخصر المؤلفات الفقه الأكبر، لإمامنا الأعظم، ثم عقائد الطحاوي، وعقائد عمر النسفي، وعقائد السنوسي، وعقائد نقاية السيوطي ـ عليهم رحمة الله ربهم الغني ـ فإنها مع ما فيها من حسن التنظيم والتركيب، وصباحة الترتيب، وغاية من التنقيح، ونهاية التهذيب، مشتملة على غرر الفرائد من أصول الدين، ودرر الفوائد من قواعد عقائد اليقين، بحيث يستوجب أن تُحرر وتُزَبّر[1] على صفحتي الشمس والقمر، لكن خلوها عن الأدلة في التمهيد لا تكفي للتقصي[2] عن التقليد، فكنت أريد في نفسي وخَلَدي، وأستخير الله تعالى في كدي وملدي، أن أستخرج من هذه الأصول لهؤلاء الفحول مختصراً رصيناً مشتملاً على عقائل المعقول، ومتناً متيناً متضمناً لنخب المنقول من أماثل الأدلة وأصائل الأصول، من غير إيراد أسْولة المعارضين وأدلة المخالفين...»[3].

فرأى ـ رحمه الله تعالى ـ خطراً كبيراً في انتشار أقوال العلماء المجردة عن الدليل، حيث يؤدي ذلك إلى قبول آراء الأشخاص دون التمحيص ودون النظر إلى صحتها، وخاصة من العامة، فأكد أنه يجب

---

(١) أي تُكتب.

(٢) قال في ترتيب القاموس (٣: ٤٩٨): وأقصى تخلص من خير أو شر، كتقصى.

(٣) روضات الجنات في أصول الاعتقادات لوحة ١ ـ ب و ٢ ـ أ، من المخطوطة رقم ٣١٣٥ المسجلة في مكتبة غازي خسروبك.

على كل من يقول شيئاً أن يؤيد قوله بالأدلة البينة من الكتاب والسنة.

فلقيت كتاباته لاعتبارها إضافة إلى ما كان منتشراً من المؤلفات قبولاً كبيراً من المثقفين أو أواسط الناس عموماً.

ومن ناحية أخرى ألّف كتباً مستقبلة فأجاد أو أفاد. فكتابه أصول الحكم في نظام العالم من نفائس الكتب في السياسة الشرعية. ومادته العلمية قيمة جداً، إضافة إلى أسلوبه القوي الرصين. فحينما يعرض فكرة ما لأول مرة، يعرضها موجزة مبسطة، ثم يشرحها ويستدل لها بالأدلة من القرآن والسنة، ويورد الأمثلة لها من التاريخ وأقوال العلماء، ويبرهن لها بالبراهين العقلية، بحيث لا يراها القارىء إلا نصيحة مخلصة، وهي في حقيقتها تحمل توبيخاً ونقداً لكل ما رآه للنقد والتوبيخ، لكن بطريقة لا تثير غضب الطرف الثاني ومشاعره، بل تُقنعه بحجج واضحة وبراهين قاطعة حيث يقبلها ولا يشعر بغضاضة من ذلك.

فهو في هذا الكتاب يكتب عن عدة أمور خطيرة على المجتمع الذي تفشو فيه، ويورد الآثار المترتبة عليها إذا لم تُعالج، كل ذلك كأنه موضوع نظري، وهو في الواقع نقد فعلي وواقعي للمجتمع العثماني في ذلك الوقت.

وكتابه هذا أول تأليف يتطرق إلى دراسة حالة المجتمع العثماني، ويقترح اقتراحات محددة في شأن إصلاح ما فسد، ثم توالت الكتابات في ذلك الموضوع، وحاول عدد من السلاطين إجراء إصلاحات كبيرة، وخبرها مشهور في كتب التاريخ.

ومما يشهد لرفعة منزلته تضلعه في أكثر في فن، فقد ألّف في الفقه وأصوله، وألّف في العقيدة، والبلاغة، والسياسة الشرعية، والتاريخ، وكلها تآليف معتبرة وقيمة، حيث كان يعايش المسائل التي يكتب عنها، فأعطاها بذلك قيمة خاصة، فكان إذا اشتغل في القضاء ألّف في الفقه، وإذا اشتغل في التدريس ألّف في البلاغة والنحو، وإذا انشغل بأحوال الأمة تاركاً القضاء، ألّف في السياسة، وهكذا.

ونرى شخصيته في جميع تلك الفنون بارزة كل البروز، حيث لم يهمل هدفه الأساسي كمؤمن بالله وداعية إلى الحق بكل جرأة وحماس.

فنراه يكتب في السياسة بنفس القوة والحماس الذي يكتب به في المسائل العلمية البحتة، ويُعلن الحق في وجه الطغاة الظالمين، ويترك القضاء حيثما يرى أنه لا يستطيع أن يحكم بالعدل لفساد المجتمع، ويستنكر ذلك.

لموقفه هذا ولمناداته إلى التمسك بالكتاب والسنة نجد من قارنه من الباحثين بابن تيمية ـ رحمه الله تعالى[1] ـ حيث وُجد تشابه كبيرفي منهجهما وحياتهما.

فدعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة مع عدم إهمال العقل، بل مع تحديد مجاله ودوره، والتصريحُ بأن المنقول الصحيح لا يُعارض المعقول الصريح، وفي الوقت نفسه خروجهما إلى الجهاد بالنفس، بل قيادة الجيوش المسلمة المجاهدة، كل هذه الأمور وُجدت متفقة عند العالِمين معاً ـ رحمهما الله تعالى .

ومما يدل على علو شأنه ثناء العلماء عليه، فقد كتب عنه معاصره العطائي[2] وأثنى عليه وعلى مؤلفاته ثناءً بالغاً. وكذلك حاجي خليفة[3].

وقد رأينا المؤلف نفسه يعرض مؤلفاته على من لقي من العلماء في زمنه، ويستشيرهم فيها، فيثنون عليها.

ومؤلفاته خير برهان على ما أقول، وسيجد القارىء في صفحات هذا الكتاب ما يُثبت ذلك، بإذن الله تعالى.

---

(١) لقد قدم الدكتور عمر ناكيتشويتش ـ أحد أساتذتنا ـ حفظه الله ـ رسالة الماجستير بعنوان: «الشيخ حسن كافي الأقحصاري رائد العلوم العربية الإسلامية في البوسنة والهرسك» في كلية الفلسفة من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م، وتطرق فيها إلى بعض كتب المؤلف، وخاصة كتابه أصول الحكم في نظام العالم، ومنهج المؤلف، وقارنه بمجموعة من العلماء البارزين الذين يتفق منهجهم مع منهج المؤلف، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، واطلعت على ترجمة هذه الرسالة باللغة البوسنوية.

(٢) انظر حدائق الحقائق في تكملة الشقائق ص: ٥٨٤.

(٣) انظر فذلكة التاريخ (بالتركية) ١: ٣٨٠ ـ ٣٨١.

عقيدته ومذهبه

كان المسلمون منذ عصر النبي ـ ﷺ ـ إلى نهاية القرون الخيرة على إثبات ما أثبته الله ورسوله من أسماء الله وصفاته على ما يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل.

وكان على هذا إجماعهم كما هو معلوم لمن له أدنى إلمام بكتب العقائد السلفية، إلا أنه حدثت في الإسلام عدة فرق من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية الذين اختلفت عقائدهم عن عقائد السلف في مسائل العقيدة، واغتر بها عدد كبير من المشتغلين بالعلم، مثل اغترارهم بالطرق الصوفية، كما تقدم.

وكان كثير من أهل العلم بالقرآن والحديث قد تأثر بهذه المذاهب الفكرية المنحرفة عن جادة السلف الصالح. فانتشر في بلاد المؤلف المذهب الماتريدي في العقيدة حيث كان كل عالم ينسب نفسه إلى الماتريدية افتخاراً وشرفاً، وقد رأينا ذلك من المؤلف نفسه حيث ذكر في عدة مواضع من كتابه هذا عبارته: «وهكذا كان يقول إمامنا أبو منصور» إلا أننا نجده يصرح بذلك إذا كان قول الماتريدي يوافق ما انتهى إليه على حسب الأدلة الشرعية، ولا يتبعه في أقواله التي لا تتفق مع المذهب الصحيح.

فكان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من تلك القلة القليلة ـ في زمنه ـ الذين استطاعوا أن يتحرروا من قيود التقليد الأعمى. فنراه يرفض كل الأقوال المجردة عن الدليل من الكتاب والسنة، بغض النظر عن قائلها ومكانته عند الناس.

واعتقاده هذا جعله يُسهم في محاربة وتصحيح العقائد الباطلة المنتشرة في زمنه، فشارك في دراسة الطريقة الحمزوية، والقضاء على

أتباعها الخارجين عن دائرة الإسلام. وأثناء تلك الأعمال لاحظ أنه يجب بيان المذهب الحق، ووضعُ الخط الفاصل بينه وبين المعتقدات المنحرفة، ونشرُ ذلك بين الناس، فألّف كتابه روضات الجنات في أصول الاعتقادات، ثم رأى أن يُفرد متن العقيدة الطحاوية بالشرح لما وجد أنها تشتمل على اعتقاد السلف الصالح الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمون في كل عصر ومصر، ففعل ذلك بكتابه هذا الذي نحن بصدد تحقيقه.

وهذه بعض الأمثلة والشواهد من كلامه نستطيع من خلالها أن نعرف حقيقة اعتقاده.

يقول ـ رحمه الله ـ في إثبات الصفات لله عزّ وجلّ: «. . . وإثبات الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه، وبينها أنبياؤه، من العلم والحلم والسمع والبصر والغضب والرضا وغير ذلك ليس تشبيهاً ـ كما زعم بعض النفاة ـ لما مر من أن صفاته ليست كصفات المخلوقين»[1].

ويقول في الميثاق: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق ثابت بالكتاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[2].

وكذلك الأحاديث قد وردت في أخذ الذرية من صلب آدم ـ عليه السلام ـ وتميزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد بأن الله ربهم. والسلف لم يتكلموا في كيفيته، فإنهم عدوا ذلك من المتشابهات، وأوجبوا الاعتقاد بحقيقته، لورود الكتاب، ولم يشتغلوا بكيفيته لتمكن وجوه الاحتمال في تأويلاته. . .»[3].

ويقول في الكرسي: «قيل الكرسي» هو العرش، والصحيح أنه غيره، لما رُوي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الكرسي موضع القدمين»، ورُوي أيضاً أنه قال: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد بين ظهري فلاة من الأرض». إلى أن قال: «فالأولى ترك التأويل

---

(١) نور اليقين في أصول الدين لوحة ١٠ ـ أ، من النسخة الأصلية.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) المصدر السابق لوحة ٢١ ـ أ.

والاشتغال بكيفيتهما، فإنما المفهوم من الكتاب والسنة أنهما من أعظم مخلوقات الله عزّ وجلّ، لا يعلم حقيقتهما إلا الله»[1].

ويقول شارحاً عبارات الطحاوي في إثبات الرؤية: «هذا إثبات لصحة الأحاديث المروية في الرؤية، وشهادة منهم بحقيقة موجبها، لأن ما ثبت في الشريعة يجب الاعتقاد به، لأن شريعة الله ثابتة بالمعجزات الباهرة والدلائل الواضحة، فما ثبت كونه منها يُقابل بالسمع والطاعة، ولا يُضرب له الأمثال، بل يجب قبوله باعتقاد الحقيقة، والتسليم لما أراد الله ورسوله، من غير بحث وتأويل، لأن الله تعالى لا يُعرف بالقياس ولا يُقاس بالناس، وإنما يُعرف بهدايته ودلائل آياته»[2].

ويقول شارحاً عبارة الطحاوي: (وأن القرآن كلام الله، منه بدأ) «تقدم المفعول للتخصيص، أي منه بدأ لا من غيره من المخلوقات. فيه رد على الجهمية من المعتزلة فيما زعموا أنه تعالى خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل. فقوله (منه بدأ) أي هو المتكلم به، كما قال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[3].

وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[4]. وليس المراد منه حدوث معنى في ذاته، بل المراد أنه تعالى أظهر للسامع قولاً (بلا كيفية) إذ ما كان محدثاً مخلوقاً لا يخلو عن الكيفية.

(قولاً): بالحقيقة لا بالمجاز، والقول والكلام ما يناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يناول لفظ الإنسان الروح والبدن جميعاً.

(وأنزله على رسوله وحياً) أي أنزله على لسان الملك بأن سمعه جبرائيل من الله تعالى، وسمعه الرسول منه، وقرأه على الناس، لقوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[5]، ولقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

---

(١) المصدر السابق لوحة ١٧ ـ أ.

(٢) المصدر السابق لوحة ٢٤ ـ ب و ٢٥ ـ أ.

(٣) السجدة: ١٣.

(٤) النحل: ١٠٢.

(٥) الإسراء: ١٠٦.

﴿ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1]، وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾[2] و[3].

فهذه شواهد من كلامه تدل دلالة واضحة على أنه على عقيدة أهل السنة والجماعة، كما أن الشاهد على ذلك كتبه الأخرى وعمله الذي قام به، حيث اشتهر في المنطقة بعقيدته السليمة، بل هو من كبار أركان «الحركة العلمية الحديثة» التي نشرت بين أهل تلك المنطقة اعتقاد أهل السنة والجماعة، وما زالت آثارها الطيبة باقية إلى أيامنا هذه.

أما مذهبه في الفروع فكان حنفي المذهب، شأنه في ذلك شأن جميع أهالي تلك البلاد، وقد ألّف في الفقه الحنفي عدة تآليف سبق أن ذكرتها.

---

(١) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٢) الأنعام: ١٩.

(٣) لوحة ١٤ ـ أ ـ ب.

obeikandl.com

التعريف بالكتاب ومخطوطاته

المبحث الأول: عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف

المبحث الثاني: سبب وتاريخ تأليفه

المبحث الثالث: دراسة منهج المؤلف وبيان مراجعه وقيمة الكتاب العلمية.

المبحث الرابع: مقارنته بشرح ابن أبي العز الحنفي للطحاوية

المبحث الخامس: وصف النسخ المخطوطة والتعريف بها ونماذج منها

obeikandl.com

عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف

لقد جاء ذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه في مقدمة الكتاب نفسه، لذلك لم أر أحداً ينسب هذا الكتاب إلى غير المؤلف.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ بعد الحمد والثناء على الله، والصلاة على الرسول ـ ﷺ ـ ما يلي: «وبعد، فيقول العبد الفقير إلى البر الباري كافي الأقحصاري، وفقه الله وهداه لما يحبه ويرضاه..» إلى أن قال: «وسميته نور اليقين في أصول الدين»[1].

وكُتب كذلك عنوان الكتاب واسم مؤلفه في الورقة الأولى من كل نسخة خطية. كما نُسب الكتاب بهذا العنوان إلى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من جميع المفهرسين الذين ذكروه:

انظر:

أ ـ كارل بروكلمان «تاريخ الأدب العربي» ١: ٤٤.

ب ـ حاجي خليفة «كشف الظنون» ٢: ١١٤٣.

ج ـ إسماعيل باشا البغدادي «هدية العارفين» ١: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

د ـ إسماعيل باشا البغدادي «إيضاح المكنون» ١: ٣٩٨.

هـ ـ عمر رضا كحالة «معجم المؤلفين» ٣: ٢٣٣.

و ـ محمد برسَلي «المؤلفون العثمانيون» ١: ٢٧٧.

ز ـ نوعي زاده عطاء الله «حدائق الحقائق في تكملة الشقائق» ص: ٥٨٤.

وأختصر الأمور التي جعلتني أجزم بصحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه في الآتي:

---

(١) لوحة ٢ ـ أ.

١ ـ ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ اسمه وعنوان الكتاب في المقدمة.

٢ ـ التصريح باسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف على الصفحة الأولى من كل نسخة.

٣ ـ اتفاق جميع المفهرسين في نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com

سبب وتاريخ تأليفه

ذكرت فيما سبق أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كان من العلماء العاملين المجاهدين، فلم يكتف بتصحيح حالات فردية معينة من الانحرافات السائدة في فهم الاسلام، بل حاول أن يعالج المشكلة من أساسها، فبادر ببيان الاعتقاد الصحيح وما يضاده، ونشر ذلك بين الناس بأفضل وأسرع الطرق.

فسبق أن رأيناه وهو يحارب الخرافات الصوفية المنتشرة في ذلك الوقت، بل يشترك في لجنة من العلماء الذين أفتوا بردة رؤساء الطريقة الحمزوية المنحرفة التي قُضي عليها تماماً بناء على تلك الفتوى.

فرأى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه لا يوجد كتاب يعرض اعتقاد أهل السنة بصورة واضحة خالية من التفاصيل الكثيرة التي يعجز عن الإحاطة بها أكثر الناس، وخالية من عبارات المتكلمين المنغلقة، فاختار العقيدة الطحاوية المشهورة التي يقول فيها: «وصنف في ذلك كتاباً مشهوراً بـ «عقائد الطحاوي» بيّن فيه العويصات والغوامض، وميز الحلويات عن الحوامض، هو كتاب لم يكتحل عين الزمان بثانيه في رقة ألفاظه ودقة معانيه، حقيق أن تُكتب سطوره بالنور على خدود الحور، وتُنتقش معانيه بقلم الحدس والشعور في ألواح القلوب والصدور»[1].

لكنه رأى شروحها ـ رغم كثرتها ـ لا توفي بالغرض المقصود، فحاول أن يستصفي من تلك الشروح شرحاً يُغني عن صفحاتها الطويلة، وفي نفس الوقت لا يخل بما فيها من المنافع الكثيرة.

يقول عن ذلك: «ثم شرحه غير واحد من العلماء، وفقهاء الفضلاء،

(١) لوحة ٢ ـ ب و ٣ ـ أ.

لكن بعضهم مال إلى أهل الكلام المذموم، وأشهد منهم وعبر بتعبيرهم الموهوم، وبعضهم سلك مسلك التطويل والتفصيل بحيث لا يكاد يُضبط بالتحصيل، وكان برهة من الزمان يحول في نفسي ويحدثني حدسي أن أستصفي من شروحه المعتبرة شرحاً بسيطاً، جامعاً للفوائد وسيطاً، مهذباً عن الزوائد بحيث يحتوي على ما هو المحصول والمآل، وينطوي على ما يُسلي الظمآن عن الزلال. . .»[1].

أما عن تاريخ تأليفه فقد جاء ذكره في مقدمة الكتاب كذلك. يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولما تم تحريره وتسويده، وكمل تقريره وتجويده عند المحاصرة تحت قلعة أسترغون ـ حماها الله وفاتحَها عن نكبات المنون ـ قبل الفتح بيومين، وهو اليوم التاسع عشر من جمادى الأولى لسنة أربع عشرة وألف من الهجرة النبوية. . .»[2].

(١) لوحة ٣ ـ أ.

(٢) لوحة ٣ ـ ب.

obeikandl.com

دراسة منهج المؤلف
وبيان مراجعه وقيمة الكتاب العلمية

سلك المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الشرح مسلك الاختصار، وبيّن ذلك في المقدمة قائلاً: «وكان برهة من الزمان يحول في نفسي ويحدثني حدسي أن أستصفي من شروحه المعتبرة شرحاً بسيطاً، جامعاً للفوائد وسيطاً، مهذباً عن الزوائد، بحيث يحتوي على ما هو المحصول والمآل، وينطوي على ما هو يُسلي الظمآن عن الزلال، ولما رأيت النفوس مائلة في المقصود إلى الكشف والاقتصار سلكت مسلك الإيضاح والاختصار..»[1].

فيشرح عبارة الإمام الطحاوي ـ رحمهما الله ـ شرحاً مختصراً، مدمجاً في النص الأصلي، ومشيراً إلى ما تحمله العبارة من الردود على الفرق المخالفة، دون الاستطراد في عرض أفكارهم الباطلة، ثم يستدل لعبارة الطحاوي ـ التي تمثل مذهب السلف ـ بالكتاب والسنة، وأقوال العرب وأشعارهم أحياناً، ثم يذكر أشهر اعتراضات الفرق المخالفة باختصار، ويفندها واحدة تلو الأخرى بالحجج النقلية، ثم ينزل بساحة الخصم ويسلك طرقهم العقلية التي سلكوها في إيراد الشبه، فيُسقطها بالبراهين العقلية نفسها.

فلم يكتف ـ رحمه الله تعالى ـ في رد شبههم بالأدلة النقلية، بل زاد على ذلك الحجج العقلية، وسد بها جميع طرق المخالفين التي سلكوها.

وأوضح ذلك بمثال واحد: يقول ـ رحمه الله تعالى ـ شارحاً عبارة

---

(١) لوحة ٣ ـ أ.

الطحاوي: (وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً) «إذ تعريه عن شيء من صفات كماله نقص أيضاً. فيه رد على المعتزلة، والجهمية، ومن تابعهم في الضلالة، حيث زعموا أن الله تعالى حي لا حياة له، عالم لا علم له، قادر لا قدرة له، وكذا سائر الصفات. ولا يخفى على أغبى الإنسان ـ فضلاً عن أهل اللسان ـ أن قول القائل: الله تعالى عالم بما لا علم له، قادر بما لا قدرة له قول متناقض باطل، كقوله: والله عالم والله ليس بعالم، وقوله: شيء أبيض لا بياض له، أسود لا سواد له.

ولأهل الحق من الحجج السمعية القاطعة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1]، وقوله: ﴿أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[3]، وقوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾[4].

فالله تعالى أثبت لنفسه العلم والقوة بنصوص صريحة محكمة، والمعتزلة يأبون ذلك، فإذا هم على زعمهم أعلم بالله من الله»[5].

أما المراجع التي رجع إليها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ واستفاد منها أثناء تأليفه لهذا الشرح، فنراه يصرح في مقدمة الكتاب بأنه، رأى شروحاً كثيرة لمتن (عقائد الطحاوي) إلا أنه لم يرتضها، حيث وجد أن بعضاً منها سلك مسلك أهل الكلام، فخرج بذلك عن المنهج الحق، والبعض الآخر سلك مسلك التطويل والتفصيل فأصبح فهمه صعب المنال لأكثر الناس.

يقول عن ذلك: «ثم شرحه غير واحد من العلماء وفقهاء الفضلاء، لكن بعضهم مال إلى أهل الكلام المذموم، وأشهد منهم وعبر بتعبيرهم الموهوم، وبعضهم سلك مسلك التطويل والتفصيل بحيث لا يكاد يضبط بالتحصيل...»[6].

ويبدو لي أنه يقصد بمن «سلك مسلك أهل الكلام المذموم» شرح نجم الدين منكوبرس المسمى «النور اللامع والبرهان الساطع» حيث عُرف

---

(١) البقرة: ٢٥٥.
(٢) هود: ١٤.
(٣) النساء: ٢٦٦.
(٤) البقرة: ١٦٥.
(٥) لوحة ٨ ـ أ و ب.
(٦) لوحة ٣ ـ أ.

عن هذا الشرح بأنه على منهج أهل الكلام، وكذلك من حذا حذوه. وأما الذين «سلكوا مسلك التطويل» فلعل في مقدمة من يقصدهم بذلك شرح ابن أبي العز المشهور، بدليل أنه كثيراً ما يشرح العبارة من العبارات ثم يقول: «والكلام على ذلك مبسوط في المطولات» ونجد ذلك الشرح بكلماته ومفصلاً في كتاب ابن أبي العز.

فيقول ـ مثلاً ـ أثناء شرحه لعبارة الطحاوي: (وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة) «فعُلم أن هذا هو الكلام في اللغة، إذ الشارع إنما خاطب بلغة العرب، فلفظ (القول) و (الكلام) وما يتصرف منهما من ماض ومضارع إنما يُعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى، فلا حاجة إلى الاستدلال على معنى الكلام بقول شاعر ضل في معنى الكلام، وهو قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

على أنه نُقل عنه أنه قال: «إن البيان لفي الفؤاد...» وهذا أقرب إلى الصحة، والكلام على ذلك مبسوط في المطولات»[1].

فمضمون هذه العبارات موجود في شرح ابن أبي العز وذكرُ هذا البيت كذلك، مع التوسع في الموضوع.

وانظر شرح ابن أبي العز ١: ١٩٨ ـ ٢٠٢.

فهذا دليل استفادته من شروح الطحاوية، وقد صرح بأنه أراد أن يستصفي من شروحها «المعتبرة» شرحاً مختصراً يجمع فيه فوائدها ويُغني عن صفحاتها الطويلة[2].

وسبقت الإشارة إلى أنه أنهى كتابه أزهار الروضات شرح روضات الجنات في نفس الوقت مع تبييضه لكتابه هذا، فيكون من الطبيعي أنه استفاد من المراجع التي راجعها في تأليفه للكتاب الأول. وقد وجدت ما يؤيد ذلك حيث ينقل بعض العبارات من العقيدة السنوسية والنسفية وشرح التفتزاني مشيراً إلى ذلك[3].

لكن الذي يُلفت النظر أنه استفاد استفادة كبرى من شرح ابن أبي

---

(١) لوحة ٤١ ـ ١. (٢) انظر لوحة ٣ ـ أ. (٣) انظر لوحة ١٤ ـ ب.

العز الحنفي، واعتمد عليه اعتماداً كبيراً، حيث يكاد يكون كتابه هذا مختصراً له، وسيأتي المزيد عن ذلك في الفصل القادم، بإذن الله تعالى.

أما قيمة الكتاب العلمية فتكمن في قيمة الموضوع الذي يبحث فيه، لا سيما وقد سلك المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ مسلك أهل السنة والجماعة، واختار عبارة الإمام الطحاوي ـ رحمه الله تعالى ـ التي تمثل مذهب السلف في العقيدة الإسلامية، فتناولها بالشرح، كما استفاد من شرح ابن أبي العز المشهور بسلامة منهجه.

وتتجلى قيمة الكتاب في سهولة عباراته وعرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة بوضوح كامل، دون الاستطرادات الطويلة في الرد على المخالفين، فقرب به المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ العقيدة الصحيحة إلى أذهان الناس وأفهامهم في أسلوب ميسر مفهوم.

وكل ذلك في كتاب له تنسيقه الخاص بين موضوعاته حيث يبدو كأنه تأليف جديد مستقل. فقد بدأه بمقدمة بيّن فيها أهمية العقيدة وعرضها في ضوء الكتاب والسنة، وفهم سلف هذه الأمة لها، ثم تناول شرح عبارة الطحاوي وربط بين موضوعاتها ربطاً جيداً، ثم أنهاه بخاتمة ربطت آخر الكتاب بأوله، فصار الكتاب كله وحدة متناسقة متكاملة، مرتباً ترتيباً دقيقاً لا يقل عن ترتيب التأليفات الحديثة.

فعلى الرغم من أنه استفاد استفادة كبيرة من شرح ابن أبي العز، نادراً ما ينقل عباراته حرفياً، بل يختصرها اختصاراً جيداً، ويقدم أشياء، ويؤخر أخرى بحيث يخرج النص منسقاً تنسيقاً جديداً، إضافة إلى ما فيه من بعض الانفرادات لا توجد في شرح ابن أبي العز، كما أنه خالف ابن أبي العز في بعض المسائل، وسيأتي بيان ذلك، إن شاء الله.

والأمر الذي يزيد من قيمة الكتاب أنه أُلف لغرض معين، ألا وهو ضرورة عرض عقيدة أهل السنة والجماعة صافية نقية كما جاء بها الإسلام، على الناس الذين انتشرت فيهم البدع والانحرافات بسبب تصورهم الخاطىء للعقيدة الإسلامية وسط معتقدات فاسدة فشت في المجتمع المحيط بالمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ آنذاك.

فنراه ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الشرح المختصر يذكر القواعد

الأساسية لعقيدة أهل السنة، وينثرها في موضوعات الكتاب المختلفة. فيقول ـ مثلاً ـ أثناء كلامه عن الصراط والميزان يوم القيامة وأنه يجب الإيمان بهما لورود الآيات والأحاديث فيهما، ما يلي: «فوجب الإيمان بكل ما جاء به الكتاب والسنة المتواترة، والاعتقاد بحقيقة المراد، لا الاشتغال بكيفية ذلك. . .»[1].

ومن شرحه الذي انفرد به عن ابن أبي العز ما قاله في شرح عبارة الطحاوي: (وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً) «. . . وفيه رد أيضاً على قولهم أن الله تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً، وأقول في قولهم (صار قادراً) إثبات لصفة القدرة، فإن قالوا كما هو زعمهم أن نحو قادر وعليم وسميع وبصير أسماء للذات لا معاني لها سوى الذات، بطل قولهم: (صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً) لأنه حينئذ يكون معناه: صار ذاتاً بعد أن لم يكن ذاتاً، وبطلانه ظاهر.

وسبب ضلالتهم غباوتهم في شبهة تعلقوا بها، وهي أن الصفة إذا لم تكن هي الذات هو غير الذات، والقول بالغير في الأزل مناف للتوحيد، وكذا القول بأزلية الصفات قول بإثبات القدماء، وقد مر الجواب في قولنا: معان لازمة للذات، ولا استحالة في تعدد الصفات القديمة، إنما المستحيل تعدد الذوات القديمة»[2].

والذي يدل على قيمة الكتاب العلمية كذلك ثناء العلماء عليه. فقد قال عنه صاحب كشف الظنون، حين تعرُضه لذكر شروح الطحاوية ما يلي:

«وشرَحه المولى كافي الحسن البوسنوي الأقحصاري، المتوفى ١٠٢٥، شرحاً مفيداً، وسماه نور اليقين في أصول الدين، أتمه عند المحاصرة تحت قلعة أسترغون سنة ١٠١٤، قبل الفتح بيومين. . .»[3].

ويدل على إعجاب الذين اطلعوا على هذا الكتاب ما كُتب في الصفحة الأولى من مخطوطة رقم ٢٧١٦، وقد كُتبت بخط كبير مزيّن، الأبيات التالية:

---

(١) لوحة ٣٧ ـ ب. (٢) لوحة ٨ ـ ب. (٣) كشف الظنون ٢: ١١٤٣.

كتاب فاخر كالدر لفظاً ... حري شأنه بالنور سطرا
معانيه علت كل المعالي ... جليل نفعه كالدهر قدرا
لساني في محاسنه كليل ... وإن أفنيت في الإنشاء عمرا

المآخذ على الكتاب:

ذكرت فيما سبق محاسن الكتاب، ومن الإنصاف أن أذكر المآخذ عليه كذلك. فهو كغيره من الكتب البشرية، لا يخلو من بعض النقص، لأن العمل البشري متصف بالنقص دائماً، وذلك لأن النقص من طبيعة البشر المخلوق، والكمال لخالق البشر ـ سبحانه وتعالى ـ وحده.

وأقسم المآخذ على الكتاب إلى قسمين:

أولاً ـ المآخذ العلمية:

أ ـ أول ما يلاحظه القارىء لهذا الكتاب الأخطاء التي وقعت في الآيات القرآنية، وخاصة أن هذه الأخطاء ليست بقليلة.

فإبدال كلمة مكان الأخرى، وإسقاط بعض الكلمات، والإتيان بجزء الآية فقط ـ مكتفياً به في الاستشهاد ـ دون إكمالها كثير جداً.

ب ـ نقله كثيراً من النصوص من شرح ابن أبي العز دون أن يشير إلى ذلك.

فيقول في لوحة ١٨ ـ أ ما نصه: «وهل دخل الفساد في العالم إلا من مقولة هذه المقالات الصادرة ـ غالباً ـ من ثلاث فرق، كما قال ابن المبارك: «وهل أفسد الدين إلا الملوك، وأحبار سوء ورهبانها» فإن الملوك الجبابرة يعترضون على الشريعة بالسياسة الجائرة، ويقدمونها على حكم الله ورسوله. وأحبار سوء هم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك.

والرهبان هم جهال المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق، والمواجيد، والخيالات الفاسدة، والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة، وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل، وقال أصحاب الذوق: «إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف». واقرأ هذه العبارات بألفاظها في شرح ابن أبي العز ١: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

ويقول في لوحة ٤١ ـ ب ثم في الدعاء معان:

الأول: دلالة الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدعى.

الثاني: الغِنى، فإن الفقير لا يُدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

وانظر هذه النصوص بألفاظها في شرح ابن أبي العز ٢: ٦٧٨. وهذا ظاهر في معظم صفحات الكتاب.

ج ـ مخالفته للمذهب الصحيح في مسألة الأخذ بالأحاديث الآحاد في باب العقائد، ومسألة زيادة الإيمان ونقصانه وما يتعلق بها. فيقول في لوحة ٢٧ ـ أ: «ولا نخوض في الله، أي لا نتكلم في ذات الله وصفاته من غير بصيرة، بل نتبع في ذلك ما دعانا إليه الكتاب والسنة المتواترة والمشهورة التي اعتمد عليها العلماء، من غير اختلاف، ولا نذهب في ذلك إلى المقاييس الناشئة من هوى النفس، من غير برهان من الله ورسوله وأصحابه الذين هم خلفاء الرسول ونقلة شريعته، لاستحالة دخول القديم تحت القياس والمقادير. ولا تُبنى العقائد على أخبار الآحاد، لأنها لا توجب العلم يقيناً، والأصل في أسماء الله تعالى وصفاته التوقيف».

ويرى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ـ تبع في ذلك الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى[1]. وأوضحت أن المذهب الصحيح في المسألتين خلاف

---

(١) انظر لوحة ٢٩ ـ ١ و ٢٩ ـ ب.

ما ذهب إليه المؤلف، وبينت وجهة نظر الإمام أبي حنيفة في المسألة الثانية، كما ذكرت أدلة الفريقين والقول الراجح في هذه المسألة في محله من الكتاب.

ثانياً ـ المآخذ الفنية:

أ ـ ركاكة الألفاظ والأسلوب اللغوي في بعض المواضع.

فعلى الرغم من أن الكتاب في عمومه سليم الأسلوب وقوي العبارة، يظهر في بعض الأحيان تكلف المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في إيجاد السجع بكلامه، كما يظهر في المواضع الأخرى ضعف الأسلوب في ركاكة الألفاظ.

فنراه يقول في مقدمة الكتاب[1]: «ثم شرحه غير واحد من العلماء، وفقهاء الفضلاء، لكن بعضَهم مال إلى أهل الكلام المذموم، وأشهد منهم وعبر بتعبيرهم الموهوم، وبعضهم سلك مسلك التطويل والتفصيل، بحيث لا يكاد يُضبط بالتحصيل».

فلعله يريد بقوله (وأشهد منهم) واستشهد منهم، وبقوله (بحيث لا يكاد يُضبط بالتحصيل) بحيث لا يكاد يُحصّل مراده من كثرة التفاصيل.

ويقول في لوحة ٣١ـ ب، شارحاً عبارة الطحاوي في وجوب طاعة ولاة الأمور «ولا ندعو عليهم): «لما في الدعاء عليهم لا تُعرف مصلحة»، ولو قال: إذ ليس في الدعاء عليهم مصلحة، لكان أحسن.

ب ـ الكتاب ميزته الأولى الاختصار، إلا أنه أخل بالمقصود في بعض المواضع. يقول في لوحة ١٠ ـ ب: «وبهذا بطل قول المعتزلة أن لكل إنسان أجلين: أحدهما الموت، والآخر القتل، وذلك غلط منهم، لأنه يُبطل ولاية ملك الموت عن عموم تسليط الله على قبض أرواح العالمين، وذلك تعجيز للوكالة الإلهية، وهو محال، إلا أنه تعالى قدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل...».

وهذه العبارة غير واضحة حيث لا يُفهم منها كيف يكون إبطال ولاية ملك الموت. وجاء في شرح ابن أبي العز: «وعند المعتزلة المقتول

---

(١) لوحة ٣ ـ أ.

مقطوع عليه أجله، ولو لم يُقتل لعاش إلى أجله، فكان له أجلان. وهذا باطل، لأنه لا يليق أن يُنسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب...»[1].

وكذلك ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل، ولم ترد في الكتاب والسنة، ولا في أقوال السلف، مثل الحد، والنهاية، والمقابلة، والجهة، ولم يبينهما، وكان من الأولى بيان موقف أهل السنة والجماعة من تلك الألفاظ وما تحتمله من المعاني.

(١) شرح ابن أبي العز ١: ١٢٨.

obeikandl.com

مقارنته بشرح ابن أبي العز الحنفي للطحاوية

أشرت فيما سبق إلى أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ صرح في مقدمة الكتاب بأنه جمعه من شروح الطحاوية المشهورة المعتبرة، فيكون من الطبيعي إذا وجدناه ينقل من تلك الشروح، إلا أنني رأيته ـ من خلال دراستي للكتاب ـ يعتمد بالدرجة الأولى على شرح ابن أبي العز، وينقل منه العبارات بألفاظها ولا يشير إلى ذلك. فمضمون شرح ابن أبي العز موجود في هذا الكتاب، إلا أنه مختصر له، فحذف كثيراً من التفصيلات الموجودة فيه.

ولا يُستغرب من المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن يختار من بين الشروح الكثيرة شرح ابن أبي العز، ويعتمد عليه بالذات، حيث عُرف عن المؤلف سلامة اعتقاده ومنهجه، وحرصُه على نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وشرح ابن أبي العز شهير بذلك أيضاً. أؤكد هذا ببعض الأمثلة من الكتاب ومقارنتها بنصوص شرح ابن أبي العز.

يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: «(وإذ كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية)، كالغضب، والرضا، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، (ترك التأويل)، مراده ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً وهو تحريف، كالتأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع، والبصر، والكلام، لكن تأدّب وجادل بالتي هي أحسن، ائتماراً بقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾»[1].

فمعنى هذا النص موجود في شرح ابن أبي العز (١: ٢٥١) إلا أنه

(١) لوحة ١٨ ـ ب، النحل: ١٢٥.

توسع فيه وشرح معنى التأويل المذموم، وبيّن الفرق بينه وبين التأويل المشهور عند السلف. واكتفى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بتعريف التأويل المذموم بجملة واحدة، وبيانِ أثره السلبي إذا أُدخل على الصفات، كل ذلك في عبارة واضحة قصيرة سهلة.

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ: «والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين ـ وسائر أهل الملل ـ أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار، ولا يُلتفت إلى ما قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يُعقل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه، لأنا نقول: إن الله يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة، ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل، ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[1] فأخبر بأنه يبتدىء بالتدبير ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره»[2].

فمضمون هذا النص بتمامه وبعض ألفاظه موجود في شرح ابن أبي العز (٢ : ٦٨٠ ـ ٦٨١) إلا أنه أوسع ويختلف ترتيبه، حيث قام المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باختصار العبارات وترتيبها ترتيباً جديداً، بحيث تبدو كأنها من تأليفه المستقل، ثم يرجع فيستشهد في نهاية النص بالآية التي أوردها ابن أبي العز في بداية المقطع، وينقل منه شرحها بالمعنى.

ويقول: «ثم يجب أن يُعلم أن النار في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله يحمّي التراب والحجارة التي فوقه وتحته، حتى تكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يُدفنان أحدهما إلى جانب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه»[3].

---

(١) السجدة: ٥. (٢) لوحة ٤٢ ـ أ. (٣) لوحة ٣٥ ـ أ و ٣٥ ـ ب.

فهذه الفقرة منقولة من شرح ابن أبي العز بألفاظها (٢: ٥٨٠ ـ ٥٨١) ثم اختصر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بقية شرح هذا الموضوع، ولم يذكر كثيراً من التفاصيل الموجودة في شرح ابن أبي العز.

وهكذا نجد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ استفاد من شرح ابن أبي العز في أغلب صفحات هذا الكتاب، استفادة كبرى، إلا أنه استطاع أن يختار المهم منه، ويختصره اختصاراً جيداً مفيداً، تاركاً الاستطرادات الطويلة التي دخل فيها ابن أبي العز، كما استطاع أن يبسط الموضوع ويعرضه بأسلوب سهل، يفهمه عامة الناس، الأمر الذي كان غرضه الأساسي من تأليف الكتاب.

ومما يؤكد على استقلال شخصية المؤلف العلمية وقوتها، وجود الإضافات في مواضع من هذا الشرح لا توجد في شرح ابن أبي العز، ولا في غيره، أضاف بها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فوائد جديدة لشروح الطحاوية، شأنه في ذلك كشأنه في سائر مؤلفاته التي أضاف فيها أموراً جديدة وتقدم بها خطوة أخرى إلى الأمام.

يقول في لوحة ٤١ ـ أ ـ شارحاً عبارة الطحاوي (يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أبداً): «لما روي عن النبي ـ ﷺ ـ: «إن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم» الحديث. وذلك أن حقه على الخلق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يكفر، وأن تكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء، جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عالقاً على محبته، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته، ومن الذي لم يصدر منه خلاف ما خُلق له؟

فلو وضع الرب عدله على الخلق لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً، وغاية ما يقدر العبد عليه هو توبته واعترافه لتقصيره، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، حيث أوجب على نفسه ـ بمقتضى فضله ورحمته ـ أن لا يعذب من تاب. فلا يسع الخلق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو يدخل به الجنة، كما مر في الحديث...».

ويقول شارحاً عبارة الطحاوي: (والله عز وجل يغضب ويرضى):

«لقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، وقوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾، وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، إلى غير ذلك. وقال: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

ولاتفاق السلف من الأئمة على إثبات صفة الغضب والرضا ونحوها، التي ورد بها الكتاب والسنة.

وقد منعوا التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. فلا يُقال إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، لأن هذا نفي للصفة.

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده، ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه، ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده...»[1]. ونقضه للصوفية متميز كذلك، وإن كان مختصراً. انظر لوحة ٥٤ ـ ب وما بعدها.

كما دلّت مخالفته لابن أبي العز في مسألة الإيمان وما يتعلق به، ومسألة الأحاديث الآحاد وإفادتها العلم أو الظن، على استقلاليته فيما يكتب، وإن كان مخالفاً في ذلك للمذهب الصحيح، كما بينت.

بعد هذه المقارنة السريعة بينه وبين شرح ابن أبي العز أستطيع أن ألخّص الموضوع بقولي أني وجدت الكتاب مختصراً لشرح ابن أبي العز، وقد استطاع المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن يركز فيه على أهم ما ورد في شرح ابن أبي العز، وأن يرتبه ترتيباً جيداً، وينسق بين موضوعاته، ويُضيف من عنده ما وجد الحاجة إليه لزيادة التوضيح، كل ذلك بعبارة سهلة واضحة، وأسلوب ميسر، محاولة منه تقريب موضوعات الكتاب إلى أذهان أكثر الناس الذين هم بحاجة ماسة إلى فهم هذه الحقائق الدينية حتى تستقيم أمورهم في هذه الحياة الدنيا، ويكونوا من الفائزين برضوان الله تعالى يوم القيامة.

---

(١) لوحة ٤٢ ـ أ و ٤٢ ـ ب.

وصف النسخ المخطوطة والتعريف بها والنماذج منها

انتشرت مؤلفات الشيخ حسن كافي انتشاراً كبيراً في جميع أنحاء ولاية البوسنة وخارجها، وكثرت نسخها الخطية في أكثر المكتبات التي تعنى بالمخطوطات العربية في البوسنة، وفي بعض المكتبات العالمية.

لقد توفرت لدي ـ بحمد الله تعالى ـ أربع نسخ خطية لهذا الكتاب، جميعها من مدينة سراييفو ـ عاصمة جمهورية البوسنة ـ التي أصبحت مركز العلوم الإسلامية، لوجود عدد كبير من العلماء فيها طيلة تاريخها الإسلامي الزاهر، كما استمرت على تلك الصفة إلى أيامنا هذه. ففيها ـ اليوم ـ مقر لرئاسة المسلمين في يوغسلافيا كلها، بالإضافة إلى وجود مدرسة غازي خسروبك، وكلية الدراسات الإسلامية، ومكتبة غازي خسرو بك الغنية بالمخطوطات العربية، تقوم بدورها في نشر العلم بين أهالي تلك المنطقة. ويوجد فيها أيضاً معهد الدراسات الشرقية الذي يضم مكتبة تحتوي على عدد كبير من المخطوطات العربية كذلك.

١ ـ النسخة الأولى:

وهي المخطوطة المسجلة تحت رقم ٤٥٧٠ في معهد الدراسات الشرقية في مدينة سراييفو. كُتبت بخط المؤلف، وتُعتبر النسخة الوحيدة بخط الشيخ حسن كافي ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الآن، رغم وجود عشرات المخطوطات لتآليفه. واتخذت هذه النسخة أصلاً، ورمزت لها بـ (ص).

وعدد لوحاتها ستة وعشرون لوحة، مقاس كل صفحة فيها ١٢ ـ ٢٠، وعدد السطور في كل صفحة تسعة عشر سطراً، وفي كل سطر ثلاث عشرة كلمة تقريباً، كُتب النص الأصلي للكتاب بالحبر الأسود إلا أن متن

العقيدة الطحاوية مكتوب فوقه خط بالحبر الأحمر، للتفريق بينهما. وتوجد إضافات في أغلب الصفحات بنفس الخط. واعتبرتها أصلاً لأنها بخط المؤلف وكاملة مقروءة، ولكونها أقل النسخ أخطاء.

وثبت عندي أنها كُتبت بخط المؤلف للأمور الآتية:

أ ـ وُجدت على ورقة الغلاف من المخطوطة تعليقتان مكتوبتان بنفس الخط، كُتب في الأولى منهما تاريخ محاصرة قلعة أسترغون (٢٣ ربيع الثاني ١٠١٤ هـ). ووصْف كيفية المعارك التي دارت، وبعض العمليات المهمة من قِبل الجيش العثماني.

وجاء في الثانية ذكر نهاية المحاصرة، وتاريخ الهجوم النهائي وفتحها، وحصر القتلى والجرحى من الجانبين (قُتل من الكفار ٥٨٠ شخصاً)، وتعداد الأسلحة والمعدات الحربية الأخرى التي استولى عليها الجيش الإسلامي.

سبق أن ذكرت أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ شارك في هذه الغزوة، وأنه أتم هذا الكتاب أثناء المحاصرة لتلك القلعة، فوجود التعليقتين المكتوبتين بالخط الذي كتب به الكتاب (وكتبتا باللغة التركية) دليل قوي على أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هو كاتب هذه النسخة بيده.

ب ـ ووُجدت ـ كذلك ـ عبارة مكتوبة بخط مغاير لخط الكتاب في آخر صفحة من المخطوطة، باللغة التركية كذلك، كُتب فيها ما معناه: كُتب بيد الشارح المذكور كافي حسن أفندي، رحمه الله.

فهذه العبارة كُتبت إما من أحد تلاميذ الشيخ، أو من أحد مالكي النسخة، وقد وُجدت عليها أسماء عدة أشخاص الذين ملكوها قبل أن تُسلم للمكتبة.

ج ـ كما لاحظت أثناء التحقيق أن كثيراً من الإضافات التي أضيفت على هوامش هذه النسخة، أُدخلت في النص الأصلي في النسخ الأخرى. فيدل ذلك على أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أضاف تلك الهوامش بنفسه واعتُبرت من أصل الكتاب، فنقلها النساخ مع النص الأصلي. وأشرت إلى ذلك أثناء التحقيق.

فهذه الأمور الثلاثة جعلتني أجزم بصحة نسبة هذه المخطوطة إلى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وأنه كتبها بيده.

٢ ـ النسخة الثانية:

هي المخطوطة المسجلة تحت رقم ١٥١٤، في مكتبة غازي خسروبك بمدينة سراييفو كذلك. وتقع في ست وثلاثين ورقة، مقاس كل ورقة ١٤ ـ ١٩، وعدد السطور في كل صفحة سبعة عشر سطراً، وفي كل سطر ١٠ كلمات تقريباً.

نُسخت سنة ١١٤٢ هـ. وناسخها غير معروف، وأوقفها للمكتبة مميش آغا كاسوموفيتش. وخطها مقروء، إلا أن فيها أخطاء. ورمزت لها بـ (أ).

٣ ـ النسخة الثالثة:

وهي المخطوطة المسجلة تحت رقم ٢٧١٦ في المكتبة المذكورة، وعدد أوراقها أربعة وعشرون ورقة، مقاس كل واحدة منها ١٢ ـ ٢٠، وعدد السطور في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطراً، وفي كل سطر إحدى عشرة كلمة تقريباً.

نُسخت بيد الناسخ إبراهيم علي الإسكوبيوي سنة ١١٥٣ هـ. وفيها أخطاء كذلك، وتكاد تكون متوافقة مع أخطاء النسخة السابقة تماماً، وكونها نُسخت بعد السابقة يقوي احتمال أنها نُسخت منها. ورمزت لها بـ (ب).

٤ ـ النسخة الرابعة:

وهي المخطوطة المسجلة تحت رقم ١١٢٤، في مكتبة غازي خسروبك المذكورة كذلك. وعدد أوراقها أربعون ورقة، وعدد السطور في كل صفحة أربعة وعشرون سطراً، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة تقريباً.

ولم أقف على تاريخ نسخها واسم ناسخها، إلا أنه يبدو من خطها أنها أحدث النسخ، وهي أكثر النسخ أخطاء. رمزت لها بـ (ج).

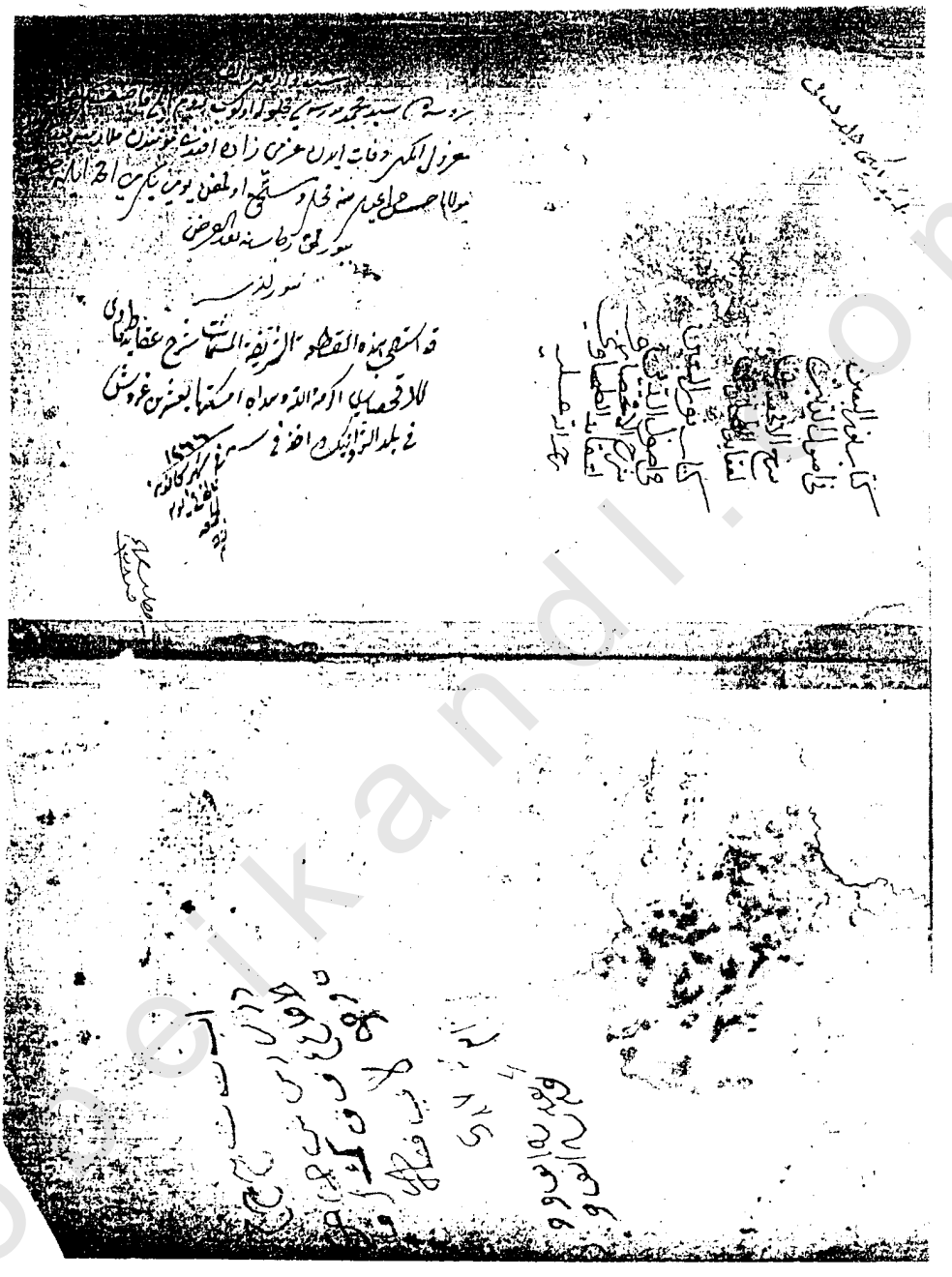

اللوحة الأولى من النسخة الأصلية

اللوحة الثانية من النسخة الأصلية

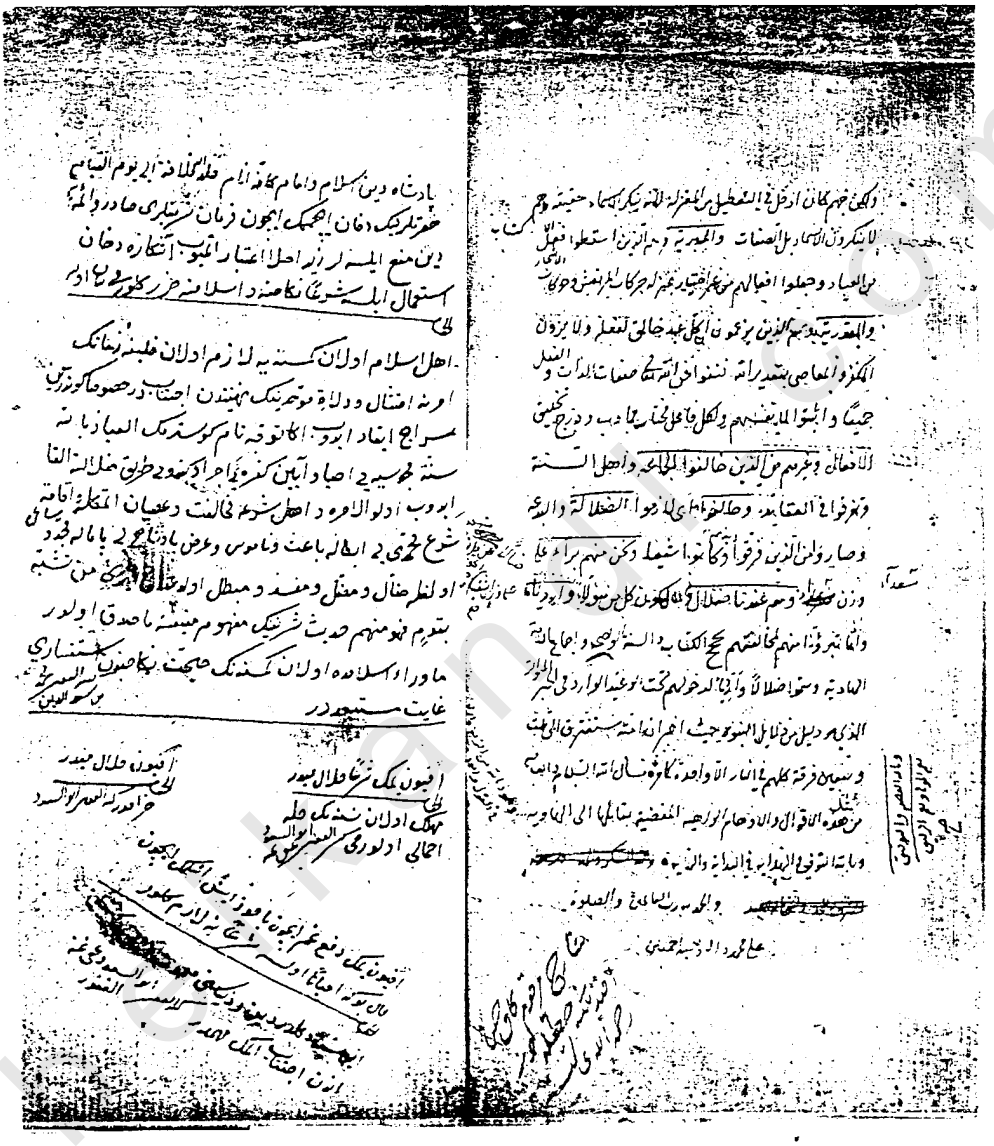

اللوحة الأخيرة من النسخة الأصلية

اللوحة الأولى من المخطوطة رقم ١٥١٤ (أ)

الا واحدة كما تر وبالله العصمة والتوفيق نعم المولى
ونعم التوفيق نسأل الله السلامة والعافية من
مثل هذه الاقوال والاوهام الواهية المغضية بنا الى
الزيادة ونعوذ بالله من الزيغ والزلل في القول
والعمل وبالله التوفيق والهداية في البداية والنهاية
والحمد لله رب العالمين والصلوة
على محمد وآله وصحبه اجمعين
تمت تمام
تم
وقع الفراغ من كتاب نور اليقين في اصول الدين شارحه كافي
الانام محمد ياري لعل الله ان يكون سببا لمغفرته آمين
بحق سيد المرسلين

اللوحة الأخيرة من المخطوطة رقم ١٥١٤ (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وجب وجوده وتقدست ذاته وعم جوده وتشرفت صفاته بثبت قدمه دلت عليه آياته وامتنع عدمه شهدت به مصنوعاته والصلوة على سيدنا محمد الذي ظهرت معجزاته وبهرت ببيناته وعلى اله وصحبه الذين يستدل بهم تواتر شريعته وعلى تابعيهم بعد فيقول العبد الفقير الى التبر الباكر كاظم الحسيني وفقه الله وسدده لما يحبه ويرضاه ان رئيس العلوم الدينية ورأسها واصل الفنون اليقينية واساسها واعظمها موضوعا واقومها اصولا وفروعا علم اصول الدين الذي هو اول علوم الانبياء والمرسلين وافضل فنون العلماء المهتدين اذ هو باحث عن الالوهية وصفات الربوبية بمقايد يستقيم به بحصل الهداية الى الحقيقة الايمان وبه يتحمل من نهار اهل الضلالة والطغيان لكنه قد تطرقت اليه شكوك واوهام من الشيطان الى عقول فرقة من الانسان فضلوا وتفرقت بهم الاراء من اهل الاهواء فعدلوا عن الاذهان واضلوا كما قال افضل الصلوات واكمل التحيات افترقت اليهود الى احد وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة ثم افترقت النصارى الى ثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وستفترق امتي الى ثلث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة فقيل من هم يا رسول الله

يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه واصحابي وفي حديث آخر قال هم الجماعة اراد اهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية وكان كما قال الله كلما تبعد العهد بعد النبي واصحابه ظهرت البدع وكثر التحريف الا ان الله تفضل قدمة على امته بجعل علمائهم كانبياء بني اسرائيل فلا تزال طائفة منهم قائمين على الحق كما قال صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم فتعينوا طريق الفرقة الناجية و بتبعوا فريق الائمة الهادية ليحق الحق ويمحو الباطل ويتميز العالم من الجاهل ثم اقام هذا الحق حق الاقامة قائما في ذلك مقام الاقامة الامام ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة الازدي الطحاوي عليه رحمة ربه الغني مولده بعد الثلثين سنة ثلث وتسعين ومائتين ووفاته سنة احد وعشرين وثلثمائة وصيت اشهر عن فقهاء الملة الحنفية الصفية ورؤساء علماء ورثة النبوة المصطفوية كالامام الاعظم ابي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي وصاحبيه ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري ومحمد بن الحسن الشيباني عليهم رحمة ربهم الغني ما كانوا يعتقدونه في اصول الدين ويدينون به رب العالمين وصنف في ذلك كتابا مشهورا بعقايد الطحاوي وبتبعه في العويصات والغوامض وغير الملتوي عن المحجة المقر هو كتاب لم يكمل عبر الزمان بشانه فرقة الفاظه ودقة معانيه صعب ان يكتب سطوره بالنور على صدور الحور وتنقش معانيه بقلم القدس والشعور في الواح القلوب والصدور ثم شرحه غير واحد من العلماء وفقهاء الفضلاء لكن لبعضهم

obeikandl.com

اللوحة الأولى من المخطوطة رقم ٢٧١٦ (ب)

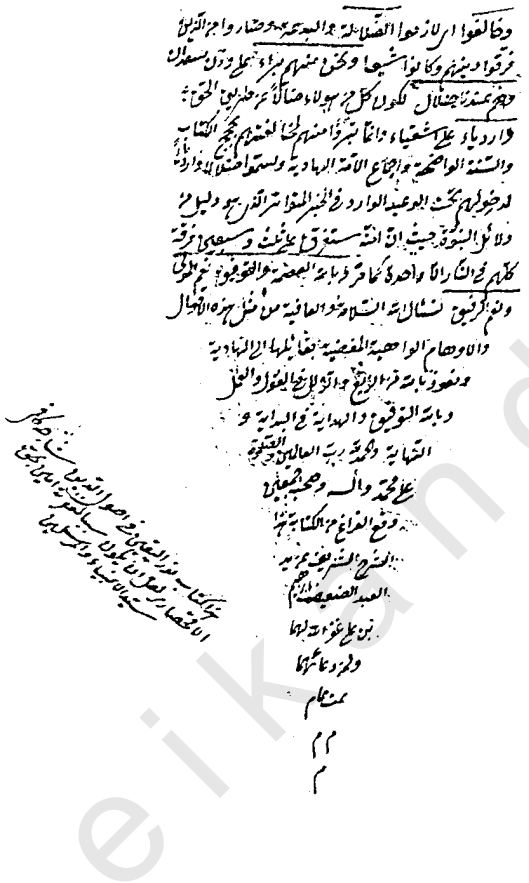

اللوحة الأخيرة من المخطوطة رقم ٢٧١٦ (ب)

شرح عقايد الطحاوى نور اليقين فى اصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وجب وجوده وتقدست ذاته وعم جوده وتنزهت صفاته ثبت قدمه دلت عليه ايانه وامتنع عدمه شهدت به مصنوعاته والصلوة على سيدنا محمد الذى ظهرت معجزاته وبهرت ببيناته وعلى اله واصحابه الذين بنقلهم تواترت شريعته وعرفت معاته وبعد فيقول العبد الفقير الى البر الباري كافى الانحصارى وفقه الله تعالى وهداه لما يحبه ويرضيه ان رئيس العلوم الدينية ورأسها واصل الفنون اليقينية واساسها واعظمها موضوعا واقومها اصولا وفرعا علم اصول الدين الذى هو اول علوم الانبياء والمرسلين وافضل فنون العلماء المهديين اذ هو باحث عن ذات الالوهية الربوبية بعقايد اليقين به يحصل الهداية الى حقيقة الايمان وبه يحل بشرعات اهل الضلال والطغيان لكنه قد تطرقت الشكوك واوهام الشيطان الى عقول فرقة من الانسان فضلوا وتفرقت انجم الاراء من اهل الاهواء فعدلوا عن الاذعان واضلوا كما قال النبى عليه السلام وافضل الصلوات واكمل التحيات افترقت اليهود الى احدى وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة ثم افترقت النصارى الى ثنتين وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة وستفترق امتى الى ثلث وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة فقيل من هم يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه

الورقة الأولى من المخطوطة رقم ١١٢٤ (ج)

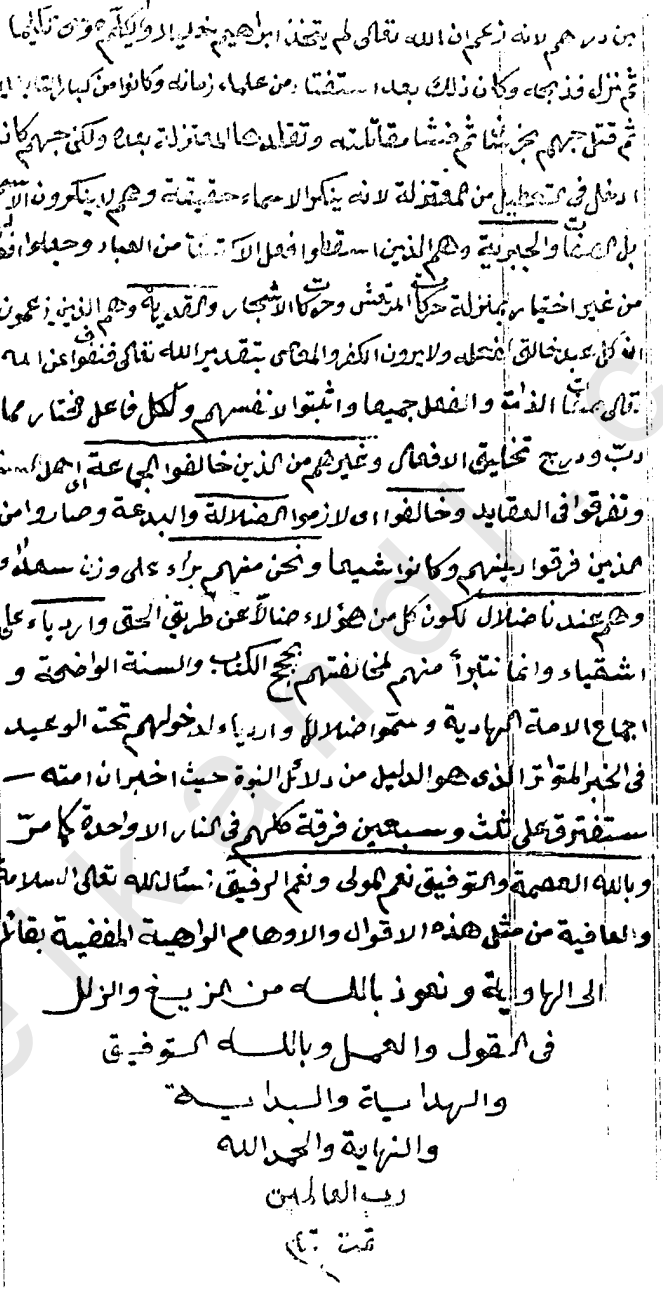

الورقة الأخيرة من المخطوطة رقم ١١٢٤ (ج)

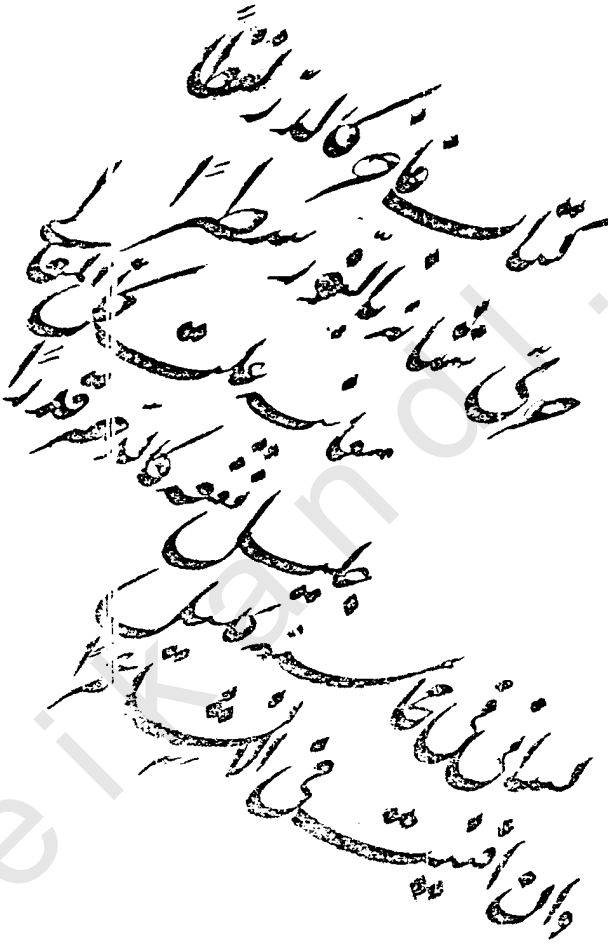

اللوحة الأولى من المخطوطة رقم ٢٧١٦

obeikandl.com

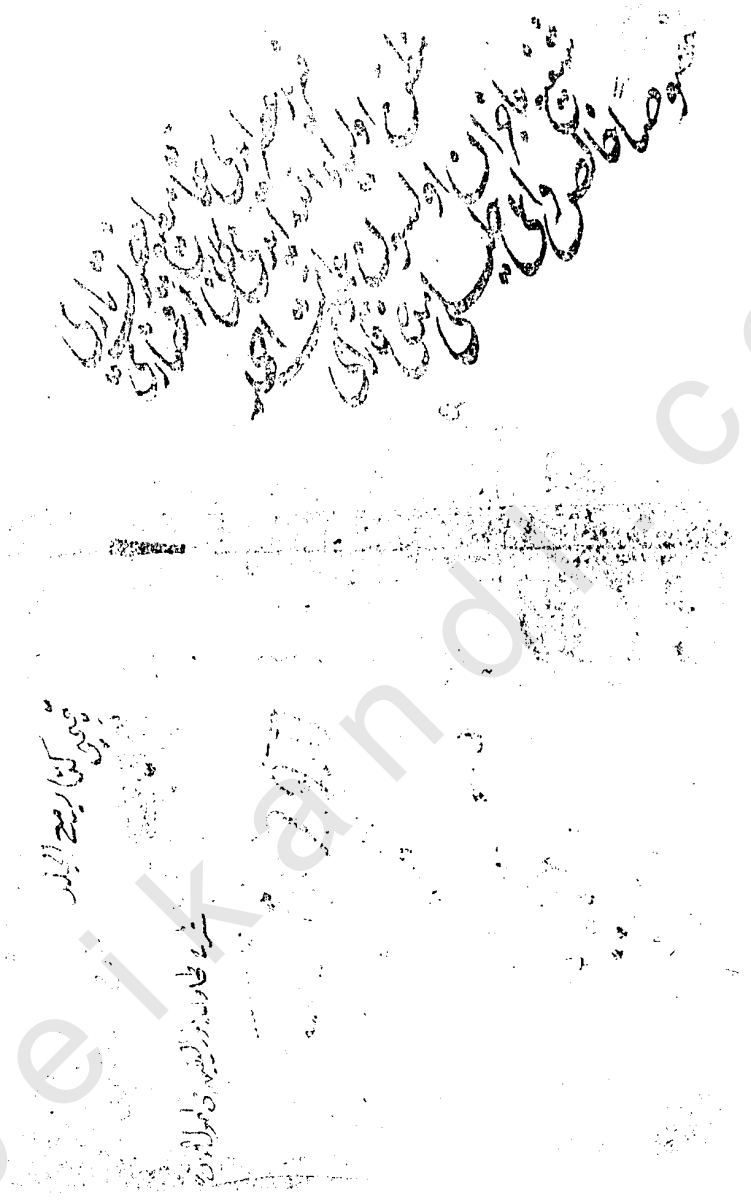

اللوحة الثانية من المخطوطة رقم ٢٧١٦
كُتبت عليها هذه الأبيات باللغة التركية في مدح المؤلف رحمه الله

obeikandl.com